

أسامة فوزي - على السفود !؟

الجزء الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

رحم الله زمانا كنا نقبل فيه ونحن صبية صغار على صندوق الفرجة أو صندوق العجايب ، كما كان يسميه صاحبه ، فنتدافع ليظفر كل منا بمكان على المقعد الخشبي ، ونشاهد من خلال العين الزجاجية المكبرة ، عنتر عبس ، والزناطي خليفة ، والأسد الهصور عمرو بن ود العامري ، وجساس ، وكليب ؟؟ ويتولى صاحب الصندوق إدارة الشريط المصور ، ويدور لسانه بشرح مُنْعَم مُلْحَن لكل صورة نراها ، كدنا ننسى صندوق العجب ، وننسى معه البوق الذي ينفخ به صاحبه ليجمع الصبية حوله ، قبل أن يستوي واقفا خلف صندوقه العجيب ، ويردد بصوته المنغم الملحن : شوف انفرج يا سلام ، شوف أحوالك عالتمام ، يا حبيبي لو بتشوف ، شوف أحوالك عالمكشوف ، شوف قدامك عجائب ، شوف قدامك غرايب ؟! إلى آخر هذه المعزوفة ؟! حقا ... كدنا ننسى صندوق العجايب بتاع زمان (¹) ، لولا أن قيض الله لنا صندوقا آخر ، هو صندوق آخر الزمان ، وأعني به هذه السلسلة العجيبة من مبادل ومساخر وفجور هذا الحكواتي الرزيل الصفيق العكروت ، ومع فرط تفاقتها ، وانصراف شرفاء الناس عنها ، لا يزال عرضها مستمر ، ولا يزال

¹ - كما صوره لنا بعض الاخوة من فلسطين المغتصبة !!

بعض المراهقين يتابعونها ، كأنها أشهر التمثيليات الساخرة ، وأشهر الأفلام
الماجنة ، وهدفها التشويش على عقول الناس ، وصرفهم عما يدور حولهم ،
ويحاك لهم في الخفاء من محن ومصائب ، أيسرها يُدمي ، وأدناها يُدمع ؟!

1 - تطاول السفية أسامة ابن أبيه

على العلامة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي - رحمه الله - (¹)

سلط بعض الليبراليين والحداثيين على القرآن والسنة شواظا من العبث والتطاول
والجهل ، باسم العصرنة ، وحرية البحث العلمي ؟؟؟ وكل همهم اثارة الشكوك ،
واجترار ما قاءه المستشرقون ودعاة التنصير وإن كانوا يقلون عن مستواهم ، إلا
أن هذا الجهول المفتري لا يملك من وسائل العلم والمعرفة شروي نقيير ، إنما يملك
لسانا عاهرا فاجرا ؟؟ اكتسبه من الشوارع التي تلطى بها ؟! فتسلط على علماء

¹ - نُقِلَ عن الخطيب البغدادي قوله: (لا تأخذوا القرآن من مصحفي ، ولا العلم من صُحُفي) (¹) لقد
حذر علماء السلف من تلقي العلم عن هذا النوع من المتعلمين، ويعنون بالمصحفي: الذي حفظ القرآن من
المصحف فحسب، دون أن يتلقاه بالرواية والمشافهة من شيوخه وقرائه المتقنين. لذلك نادرا ما ينطق أبو نونية
بالآيات نطقا صحيحا . ومما يكتب بماء العينين، لا بماء الذهب فحسب، ما نُقِلَ عن الإمام الجليل محمد
ابن سيرين : "إنَّ هذا العلم دينٌ فاعرفوا عمن تأخذون دينكم"، وقد أورده مسلمٌ في مقدمة صحيحه، يريد بذلك
علم الإسناد، وهو من أجل العلوم وأشرفها أيضا ، واستمعت لحلقة (المسيحيون العرب في الأردن هم
الأصل) ماذا يقصد من نفاقهم ، وانهم هم الذين دافعوا عن اللغة العربية ÷ وضرب مثلا بالماسوني
(حورجي زيدان) الذي شوه التاريخ الإسلامي برواياته التي حرم علماء الازهر فراءتها ، ويرد على قسيس
هاجم القرآن زاعما أن فيه أخطاء لغوية ، فكان يخاطبه بالقول : يا حاج فايز ؟؟ في حين يخاطب ابن
مجاهد ، والطبري وابن كثير والقرضاوي بالمزورين ؟؟

الامة بالسب والقدح ، فكان أشد فحشا وتطاولا وفجورا من صواحب الرايات ،
حتى أن بعض المستشرقين نزهوا السنتهم عن الخوض فيها ، فسل لسانه الموتور
يخبط في أعراض علماء الامة خبط عشواء ، إن إثارة الشبهات وهدم المقدسات هما
المدخل الذي يتسلل منه هذا الدعي لهدم الدين ، وإسقاط مكانته في نفوس المؤمنين
به ، حسب تخطيط الصليبي (أنطون سعادة بل تعاسة) - رئيس الحزب القومي
السوري الاجتماعي ، فمشروعه باختصار كما يقول المفكر الفرنسي (سيرج لاتوش)
: مشروع (اقتلاع ثقافي) (¹) ، فهو ينتزع ثقافتنا بتشويه سمعة حملتها ،
ليستورد المؤمنون بها بدلا منها ثقافة أخرى ؟!

فأخذ الكذاب المزور ابن أبيه ، يحاول تشويه سمعة فضيلة العلامة الشيخ يوسف
القرضاوي - رحمه الله رحمة واسعة - ، ولم يعلم أن معدن القرضاوي كالذهب ،
مهما أثار عليه من غباره وأوساخه ، فإنها لن تؤثر على حقيقته ، فهو كقطعة
الذهب إذا علاها الغبار أو سقطت في الأوساخ ، فقليل من الماء يعيد لها يريقها
ورونقها ولمعانها .. فكتب مقالا تحت عنوان (زواج القرضاوي من الطفلة
أسماء؟؟ ونظرها بعينه الحولاء ، فقرر أنها طفلة ؟!) وقال فيه - فض الله فاه
ولعن أمه وأباه اللذان أهملاه ولم يربياه ، وتركاه للعابثين من أولاد الشوارع كما قيل
لنا - ؟! (لا أدري ما هي القاعدة الفقهية التي استند إليها يوسف القرضاوي حين

¹ - سيرجل اروش : تغريب العالم ص 118 نقلا عن المشروع الليبرالي العجز والافلاس -
أحمد بن عبد الرحمن الصويان ص 25

تزوج (أسماء) الفتاة القاصر؟! التي تصغر أحفاده في العمر (وأنت مالك ... هو
حيثزوج أمك؟؟) ولكن من المؤكد انه سيدافع عن نفسه بالقول ان الرسول تزوج
من عائشة وهي ابنة تسع ، (¹) وان الاسلام يسمح للرجل بالزواج من أربع....
وهي حجج يلجأ اليها في الغالب النصابون الذين يتاجرون بالدين والأعراض من
طراز القرضاوي ، الذي لم يخجل من الاقتران بطفلة يكبرها بستين عاما ليس لأنها
وقعت في غرامه ، وانما لأنه اشتراها من أهلها واغتصب طفولتها وبراءتها ، (..؟؟
ولن أدافع عن فضيلة الشيخ - رحمه الله - ولا عن الدكتورة أسماء بن قادة ،
حفيدة الأمير عبد القادر الجزائري وكريمة عالم الرياضيات محمد بن قادة ، وهي
تحمل شهادة الدكتوراة الحقيقية لا المزورة حيث زعمت أنك دكتور؟؟ ووضعت

- ¹ - لا يا روح أمك؟! إن شريعتنا شريعة الإسلام أباحت تزويج البنات الصغار ، وجعلت
تزويجهم للأولياء ، بدليل زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - بعائشة ، وبنائه بها وهي
دون العاشرة ، وبدليل قوله تعالى في سورة الطلاق : (وَاللَّائِي يَيْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مَنْ
نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنَّ...) (الطلاق : 4) فاللاني لم
يحصن هن الصغيرات اللاني لم يأتهن الحيض ، وهن دون البلوغ ، عليهن عدة ثلاثة
أشهر إذا طلقن ، ولا يكون طلاق وعدة إلا بعد زواج ، أليس كذلك ؟ فمن رضي هذه
الشريعة لم ينكر ولم يعبأ بقول العائيين التافهين المغرضين ، قال تعالى (أفأنت تكره
الناس حتى يكونوا مؤمنين) (يونس : 99) ثم إن عائشة قبل زواجها كانت مخطوبة
لجبير بن مطعم قبل خطبتها للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأنها كانت في سن صالحة
للزواج . انظر جمهرة مقالات العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر : ص 363.

حرف (الدال) أمام اسمك ، ليغطي على عقدة النقص التي انتابتك (وستموت
وفي نفسك شيء من الدال ، كما مات سيبويه وفي نفسه شيء من (حتى ؟؟) . (¹)

الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي والدكتورة أسماء بن قادة !!

كيف تعرف فضيلة الشيخ عليها ؟؟

¹ - ذلك ما كنا نتداوله وما تداوله آباء لنا وأجداد وصولاً إلى سيبويه الذي ينسب هذا القول إليه، وينسبه آخرون إلى الأخفش، (الأخفش هو لقب اشتهر به أحد عشر عالماً من النحويين سماهم السيوطي في (المزهر) ، لكن الشائع أن قائلها سيبويه نفسه. وكنا نمر على هذه العبارة خلال دراستنا للغة العربية في الجامعات من دون أن نناقش في حيثياتها أو الدواعي التي دفعت سيبويه إلى هذا القول المشهور، وهو أستاذ أساتذة النحويين، ودرّته في النحو المسماة "الكتاب" أشهر الكتب في هذا المضمار من دون منافس. واعتبره العلماء آنذاك أهم كتاب ألف في النحو وأطلقوا عليه اسم بحر اللغة. وكتابه هذا من دون مقدمة أو خاتمة، إذ لم يسعفه القدر ليفعل ذلك، فقد مات في شرح الشباب وله من العمر أربعون عاماً. وقال عنه الجاحظ: لم يُكتب للناس في النحو كتاب مثله. اختلف المؤرخون في كنيته، ف قيل أبو حسين وأبو عثمان، لكن الأشهر هو أبو بشر، واسمه عمر بن عثمان ابن قنبر، ولد في مدينة البيضاء قرب شيراز، ولُقّب بسيبويه، وهي كلمة مركبة من كلمتين (سيبويه). سيب تعني التفاح (ويه) التي تعني الرائحة، ويقال سمي سيبويه لأن وجنتيه كانتا كتفاحتين. جاء من موطنه إلى البصرة وكان غلاماً صغيراً، فنشأ فيها وتعلّم على أيدي علمائها وأهمهم الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي لازمه وتعلم منه كثيراً. وكذلك أخذ عن الأخفش يونس بن حبيب وعيسى بن عمرو، وبعد ذلك ذهب إلى بغداد والتقى شيخ الكوفيّين أبي الكسائي، وجرت بينهما مناظرة في النحو يقال إن الكسائي تغلب فيها على سيبويه فترك بغداد وعاد إلى وطنه

قال القرضاوي: "إنها فتاة ردت بقوة على من هاجم الصحوة الإسلامية في مؤتمر عام، وصفق لها الحضور، وجاء الصحفيون وأخذوا لها صوراً، وفي المساء كانوا يرسلوننا إلى الجامعات التي كان بها مساكن داخلية، وعقد لقاء مع المحاضرين، واجتمعت مع الفتيات، اللاتي سألتني: فضيلة الأستاذ: هل يصح أن يحب الرجل المرأة في الله، فقلت: إن كان هناك سبب فلا مانع، وقلت لهم: أحب الأخت زينب الغزالي في الله، لأنها من الناس الذين قامت في سبيل الله. وبعد اللقاء، قابلتني الأخت، فسألتها: أنت الأخت التي تكلمت في الصباح؟ قالت: نعم، أنا أسماء بن قادة، قلت لها جزاك الله خيراً، لقد أثلجت صدورنا.

وتابع القرضاوي: "أذكر أنني قلت لها: أنت في أي كلية؟ قالت: أنا في كلية العلوم، قسم الرياضيات، وقلت لها أنت زي بناتي: عندي أربع بنات كلهن علوم، وواحدة اسمها أسماء، ولعلها في سنك تقريباً". وتابع القرضاوي: "بعد خمس سنين راسلتها، وبدأت تكلمني، فاتفقنا على الزواج وتزوجنا، وعشنا معاً عدة سنوات، وكان بيننا توافق فكري كامل، ولكن المشكلة: اختلاف البيئة واختلاف الثقافات، واختلاف المفاهيم في بعض الأشياء، وحدثت بعض المشاكل الصغيرة". وتابع القرضاوي: "أنا لم أتكلم عنها بكلمة سيئة، وقلت إنها كانت موافقة لي، وكنت موافقاً لها، وكنا متفقين في كل شيء، ولكن بعض الأشياء هي التي جلبت علينا ما حدث".

إذن : لم تكن فتاة قاصرة .. ولا طفلة صغيرة ، بل كانت فتاة بالغة راشدة ،

فارس. لكن هناك رواية أخرى مخالفة لما سبق، تقول إن الغلبة في المناظرة كانت لسيبويه، لكن

ومشاركة في مؤتمر عام ، وردت فيه بقوة ، وبكل جرأة وشجاعة على أحد أذنان الاستعمار الفرنسي الذي هاجم الصحوة الإسلامية ، وصفق لها الحاضرون بشدة ، ولو كنت حاضرا في المؤتمر لما تركت الشيخ القرضاوي - رحمه الله وعفا عنه - يسبقني - وهو السباق إلى كل خير - في طلب يدها وودها !! ففيها تتوافر الصفات التي ذكرها الرسول - صلى الله عليه وسلم - للمرأة الصالحة : (تَنْكُحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَأَظْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ.) (1) فهي ذات مال ، وجمال ، وحسب ، ونسب : فهي حفيدة من حارب الفرنسيين ثماني عشرة سنة ووالدها علامة الرياضيات ، وذات دين ، تمثل في ردها على أحد غلمان الاستعمار الفرنسي وأخروسته؟! وهي أخيرا جزائرية...؟!!

أما قولك : اشتراها من أهلها واغتصب طفولتها وبراءتها؟! فالجزائريون لا يبيعون بناتهم أيها الفاسق الفاجر ، فكرت أن الناس يشبهونك؟! ثم إن والدها لم يكن موافقا على هذا الزواج ، ورد كل الوساطات التي تدخلت لإتمام الزواج .. ولولا رغبته في هذا الزواج لما تم .. ونقطة فوق السطر ..

وما رأي السيدة أسماء؟؟

أغري الحكم فغير رأيه.

¹ - خرج البخاري (5090)، ومسلم (1466)

قالت الدكتورة أسماء بن قادة:

هذه قصتي مع الشيخ القرضاوي قبل وبعد الزواج .؟؟ لقد عرفني الشيخ وأنا على منصة مؤتمر علمي عام 1984!! (¹) على إثر مداخلة قام خلالها حوالي 2000 شخص كانوا مشاركين يصقّون ويكبّرون، كما غطتها كل وسائل الإعلام ، ومنها جريدة الشعب التي عرضتها تحت عنوان: “ قد تجد في النهر ما لا تجده في البحر ” (يعني أيها المدلس الكذوب ليست طفلة ؟!) وكان الشيخ قد تقدم ليحييني ، ولكنه وجد وسائل الإعلام تحاصرني عند نزولي من المنصة فتراجع، إلى أن رأي في المساء في مقر إقامة الطالبات، فسألني إذا كنت أنا أسماء؟؟ التي داخلت في الصباح فقلت نعم، فشكرني كثيرا وقال: “لقد أثلجت صدورنا بردك الذي جاء قويا دون خوف أو وجل”، ومنذ ذلك الوقت بات يقربني جدا منه، ويحاول الحديث معي كلما وافته الفرصة، ويهديني كتبه، التي كان يسقط قصدا في بعضها كلمة ابنتي، ليكتب عليها “إلى الحبيبة أسماء”، وبقي على هذه الحال لمدة خمس سنوات، إلى غاية 1989 حيث حاول الاتصال بي بمجرد وصوله إلى الجزائر، وفي (تبسة) أثناء مشاركتنا في المؤتمر المنعقد هناك، طلب مني محاولة التعجيل بعودتي إلى العاصمة لكي يتمكن من مقابلي والحديث معي معلقا “وإلا سأسافر وفي قلبي حرقه!”، ولكن الظروف لم تساعد على ذلك التعجيل، فاتصل بي من العاصمة وأنا لازلت في (تبسة)، ليقول لي بأنه قد أجل عودته

إلى الدوحة يومين حتى يتمكن من مقابلي، فطلبت منه أن يؤجل ذلك لفرصة أخرى من منطلق ما عنده من واجبات ومسؤوليات وأنا غافلة تماما عما يريد أن يحدثني عنه، ولكن يبدو أن الشيخ تأكد بأن الأرضية ليست ممهدة بعد ليبتني ما في نفسه فعاد إلى الدوحة، ومنها أرسل إليّ برسالة مطولة وقصيدة من 75 بيتا يبتني فيها عواطفه وأشواقه التي كتمها خلال خمس سنوات منذ 1984 والتي من بين ما جاء فيها:

- “أترى أطمع أن ألمس من فيك الجوابا ؟... ”
- أترى تصبح آهاتي ألحانا عذابا؟... ”
- أترى يغدو بعادي عنك وصلا واقترابا؟... ”
- آه ما أحلى الأمانى وإن كانت سرايا!... ”
- فدعيني في رؤى القرب وإن كانت كذابا!... ”
- وافتحي لي في سرايب الغد المجهول بابا !!.. ”

لقد كانت مفاجأة أقرب إلى الصدمة في البداية، فقد كنت أراه معجبا، ولكن كانت علاقتي كذلك مع جميع العلماء الذين حظيت عندهم بالكثير من التقدير والحب والاحترام.. لقد تحولت المفاجأة بعد ذلك إلى شيء من التشوش والحيرة، ولكن

¹ - أي ليس على طريقتك التي تعرفت بها على حواء (حاووز الزرقاء ؟!) ، ولا على طريقة أحمد شوقي : (نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء ؟!)

الشيخ لم يترك لي فرصة فقد كان يجاملني بالمكالمات والرسائل، ثم بدأ يطالبني بمعرفة مشاعري تجاهه، كما قال:

“ياحبيبي جُدْ بوصلٍ دمت لي واجمع شتاتي...”

لا تعذبني كفاني ما مضى من سنوات...

بت أشكو الوجد فيها شاربا من عبراتي”،

إلى أن يقول أيضا:

“ياحبيبي وطيببي هل لدائي من دواء؟...”

لاتدعني بالهوى أشقى، أترضى لي الشقاء؟!...

لاتدعني أبك فالدمع سلاح الضعفاء!...

كيف يحلو لي عيش ومقامي عنك ناء؟!

. لا سلام لا كلام لا اتصال لا لقاء...

. أنا في الثرى وليلاي الثريا في السماء!!

. وطبعا كتمت الأمر تماما عن عائلتي في الأول، بسبب ما كنت أشعر به من

حرج يعود إلى الظروف المحيطة بالشيخ.

• والله، أول رسالة خطتها له يدي قلت له فيها بعد أن وصفت له حالة الحيرة التي أنا فيها: “إن الحب ليس سهما ينفذ إلى ذاتي فجأة فيفجر فيها نبع العواطف والمشاعر، إنه معنى يدركه العقل، ثم يفيض بعد ذلك على الوجدان، وإن المعنى مرتبط بجوهر الشخص، فهل تمثل أنت ذلك الجوهر، نعم وأردفت على ذلك التساؤل: “أنا لا أعرف ما مصير هذه العلاقة إن أنا سمحت لها أن تمتد وتتطور”، كما سألته عن جوانب اهتمامه بشخصي، على الرغم من أنه قد فصل في رسائله الأولى، ولكن كنت أريد أن أتأكد، إلى أي مدى هو حب متعدد الأبعاد تتداخل فيه المعاني الانسانية المختلفة

• نعم أعقب ذلك الكثير من الرسائل والمكالمات المطولة من كل أنحاء الدنيا حيث حل وارتحل، بل استمرت الرسائل والقصائد بعد الزواج أيضا، وكان ينظم القصائد أحيانا وهو في مصر وأنا في الجزائر عندما نفترق لبعض أيام الإجازة ويبعث بها إليّ، ومن بينها قصيدة عنوانها شوق كان مطلعها:

- “يا حبا زاد تدفقه فغدا طوفانا يغرقني..
- يا شوقا أوقد في قلبي جمرات توشك تحرقني..
- أيام الشوق تعذبني كم تجمعني وتفرقني..
- وليالي الشوق تطول علي تطير النوم تفرقني”،
- إلى غاية قوله:
- “ما عدت بمحتمل بعداً عن روعي وهي تفارقني”،

• وأحيانا ونحن في الدوحة وهو في بيته الأول يكتب الرسالة ويبعث بها مع السائق على بعد خطوتين..

• وعودة إلى المرحلة الأولى، مرحلة إقامة الشيخ في الجزائر عام 1990 - 1991 لتحقيق هذا الزواج، والتي حصلت فيها ظروف كثيرة ليس هنا مجال تفصيلها، عاد الشيخ بعدها إلى الدوحة ولم يوفق في الوصول إلى مراده من تحقيق الزواج!؟

• بعد مغادرة الشيخ للجزائر، انقطعت العلاقة تماما، لمدة خمس سنوات، ليتصل بي الشيخ بعدها من الدوحة، ويذكر لي بأنه لم ينسني لحظة ، وقال بأنه يريد أن يرسل لأبي مجموعة من الوجهاء والوسطاء لعل أبي يوافق على زواجه مني.

• أول اتصال منه كان بفضيلة الشيخ عبد الرحمن شيبان، حفظه الله، صديق العائلة ، والوزير السابق للشؤون الدينية ، وقد سأل الشيخ هل لديك ضمانات بأنه لن يمسخها سوء، وهل تضمن ردود فعل أهلك، فأكد له بأن كل ذلك مضمون، ونقل الشيخ شيبان الرسالة، وكان موقف والدي الرفض المطلق

• بعد أن فشلت كل المحاولات، كتب الشيخ رسالة إلى والدي يشرح له فيها أن القلوب بين أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وأن الرسول - عليه الصلاة والسلام - قد تزوج من عائشة رغم فارق السن بينهما، مؤكدا له أنني سأكون في عينه وقلبه ، كما أعطاه كل الضمانات بأنه لن يصيبني مكروه أبدا ، وأنه سيعمل على

إسعادي...الخ، ولكن والدي رد على الشيخ برسالة أخرى، يطلب منه فيها ترك هذا الموضوع للأبد؟؟، وأنه لن يغير موقفه أبداً، وظل والدي مصرّاً على رفضه، وكان يقول لي: “أطلبني أيّ شيء في الدنيا أحققه لك، إلا هذا الزواج إنه مدمر لك”!

• برأي والدي، أن الشيخ حاول التأثير عليّ أولاً وأنه قد سحرني برسائله ومكالماته واستغل خبرته وفارق السن الكبير جداً بيني وبينه من أجل تحقيق ذلك، في حين كان الأولى به أن يتقدم إليه مباشرة، بالإضافة إلى الفرق الكبير جداً في السن، والزوجة الأولى والأولاد، والغربة والتعدد الذي لا يمثل جزءاً من الثقافة في الجزائر، كما أن والدي لم يكن يتصور بأن ابنته التي ظل يصنعها على عينه منتظراً متى تستلم دورها في الحراك العلمي والفكري للوطن، يمكن أن ترتبط برجل ترافقه هذه الظروف الصعبة ومع اختلاف البيئة والثقافة ونظام التفكير.. ولكن قدر الله وما شاء فعل.. وتم الزواج.. فلو لم تكن السيدة أسماء موافقة عليه هل كان سيتم...؟؟؟

• لقد واجه الشيخ ضغوطاً كبيرة منذ أول أيام الزواج، حيث تعرّض هذا الارتباط لهزات وأزمات كثيرة، كنت دائماً ضحيتها الأولى وكبش فداؤها في الأخير، كان يواجه الضغوط بل المقاطعة من طرف أولاده، ولقد قاطعه ابنه لمدة تزيد عن عشر سنوات بسبب هذا الزواج، كما قال لي وكما هو معروف عند جميع الناس، والمشكلة أنه لم يكن حاسماً في مواقفه، وإذا ما قرر الحسم يوماً يكون ضدي، من

منطلق أنه يرتكب أهون الشرّين وأخف الضررين، وكل ذلك بعيدا عن متطلبات الشرع. أذكر مرة كنت متوجهة إلى باريس تلبية لدعوة من “اليونيسكو” للمشاركة في إحدى الندوات، فنشرت جريدة “الرأية” خبرا حول مشاركتي مرفقا بصورتي، وهنا قامت الدنيا ولم تقعد من طرف أولاده (لماذا يكتبون حرم القرضاوي؟!) ، وفي مرة أخرى اتصل بي ابنه وطلب مني عدم ذكر إسمي كمنتجة لبرنامج للنساء فقط في قناة الجزيرة في نهاية الحلقة وكذلك في مؤتمر التلاميذ والأصحاب عام 2007، عندما ظهرت كلمتي على الجزيرة قاطعوه لفترة وهو في القاهرة، إن هذه الأشياء كانت تحاصرني وتخنقني، ولا أجد موقفا حاسما ينهي محاولات تجاوز الخطوط هذه، وذلك فضلا عن أمور أخرى ترتبط بكياني الاجتماعي كزوجة وبالعدل!

- يبدو أنهم غفلوا أنني وليدة أرض كل ذرة تراب طاهرة فيها ممزوجة بقطرة دم مقدسة نزفتها أرواح شامخة أبية، لقد كانوا يتوقعون هم وغيرهم أن أتوقع في خانة “العشيق الحلال”، مع تحفظي على ذكر هذه الكلمة ولكنها معبرة، أو ربما تصوروا بأنني يمكن أن ألعب يوما دور الجارية في حياة الشيخ، أو أن أدخل في جلبابه أتمس بركاته وأعيش في دائرة حريم بعض شيوخ الدين وفقا للمفهوم المكتسب للمشيخة الدينية المعاصرة وما تحاول حيازته وتكريسه من سلطات وفقا للمفهوم الثقافي المكتسب أيضا للأنوثة والجسد، إنه بعيد عن نموذج الإسلام والرسول - عليه الصلاة والسلام - ، الذي استرشد برأي زوجته أم سلمة - رضي الله عنها - في أخطر أزمة واجهته مع أصحابه في صلح الحديبية ، ولم يجد أي حرج في ذكر

ذلك، وبقي ذلك شاهدا في التاريخ لكي تسترشد به الأمة في تعاملها مع المرأة ولكن هيهات!، يبدو أنهم لم يراجعوا دروسهم جيدا، أو أنهم عاجزون أصلا عن التحليل والتفكير وإعادة التركيب، لاسيما إذا كانوا ينتمون إلى مدارس الحفظ والتلقين، لقد كانت مؤامرات خسيسة تم حبكها على استعجال ولكن المحزن في كل ما جرى ما انتهت إليه من نتائج يقينية تؤكد بأن بيننا وبين الإسلام مسافات ومسافات!

• لقد اتصل بي الشيخ ليلة الخميس 12 نوفمبر 2008 بعد عودتي من ندوة كنت أشارك فيها حول مستقبل اللغة العربية؟! فسألني عن الندوة وتحدثنا في أمور كثيرة كالعادة ثم قال عبارته المعهودة التي يودعني بها عندما يكون في بيته الأول “تصبحين على خير وحب وشوق وأنس”، وفي الصباح اتصل وطمأنني أنه قد تناول فطوره وأدويته وقد كان عندي مؤتمران أحدهما في قبرص والثاني في سوريا، في نفس تلك الأيام، وتحاملت على نفسي وحضرت أوراقي منذ أن ارتبطت السيدة أسماء بن قادة بفضيلة الشيخ العلامة الدكتور يوسف القرضاوي، لم يسبق لها وأن خاضت في تفاصيل تلك العلاقة الزوجية بينما سبقها الشيخ إلى كتابة أدق تفاصيل علاقته معها وزواجه بها في مذكراته التي نشرت العام 2008، لكن الشروق تمكنت من الوصول إلى الدكتور الجزائرية أسماء بن قادة حفيدة الأمير عبد القادر وكريمة عالم الرياضيات محمد بن قادة في حوار حصري تروي من خلاله السيدة أسماء تفاصيل ذلك الزواج الزلزال بين عالم دين كبير وفتاة جزائرية تمثل العنفوان الجزائري في ذروته، ولأن الكثير من تفاصيل هذا الزواج قد سبق لفضيلة الشيخ أن تحدث عنه في مذكراته فإن ما تورده السيدة أسماء من هذا الحوار الشيق يزيد من احترامنا لفضيلة الشيخ يوسف القرضاوي الذي أحب

الجزائر وأحبته ، بغض النظر عن المحيط الموبوء أحيانا الذي عانت منه السيدة أسماء ، التي كانت حريصة هي الأخرى على إجلال العلماء وإكبارهم. ولعل حديث الشيخ بنفسه في مذكراته عن علاقات الحب والود التي جمعتها مع السيدة أسماء ينم أيضا على روحه العالية و صدقه مع الله ومع نفسه وتقديمه لنموذج العالم القدوة الذي يفعل ما هو مقتنع به مادام حلالا وهو الذي يعتبر نموذج الوسطية والاعتدال في كل شيء لدى جيل الشباب سيما الجزائريين المتعلقين به وشاركت فيهما وأنا أعيش حالة من القلق والإرهاب النفسي نتيجة الترويع، بينما هو مختف لا أعرف عنه شيئا ..أما عن النتاج الفكري لأسماء بن قادة التي تكتب بثلاث لغات، فإنها “تنوعت بين ما هو سياسي وعلمي وفلسفي، ولديها بضعة كتب تصل إلى المطبعة تباعا أولها كتاب حول الفوضى تحت عنوان “ابستمولوجيا الفوضى” وآخر حول المرأة الذي انتهيت منه في رمضان “مقاربات منهجية لدراسة موضوع المرأة” وكذلك كتاب “التحول في مفهوم القوة وانعكاساته على بنية النظام الدولي” و”النظام المعرفي الجديد وتحولات النظام الدولي”.. (1) وكل هذه المعلومات التي لخصتها عن الدكتورة أسماء بن قادة ، تبين راحة عقلها وكفاءتها ،وليست طفلة أيها الأحول ؟ أو كما قال عنها القرضاوي - رحمه الله - (وراء صوتها عقل منبىء عن عبقرية ،

¹ - انظر مقابلة الشروق أونلاين مع أسماء بن قادة ، بتاريخ 20/11/2010م . وصحيفة الحياة اللندنية الاحد ، ديسمبر 12، 2010. وانظر القرضاوي وأسماء بن قادة ، لكريمة الدهان 7/6/2016 م . والحلقة الثانية والعشرين من برنامج "مراجعات" على قناة الحوار

ووراء عقلها إيمان وأخلاق رضية؟! ولم ينه القرضاوي العلاقة الزوجية الا للضغط العائلية الرهيبة؟! كما شنت عليه الصحف المصرية سيل من المقالات في المصري اليوم ، واليوم السابع ، وروز اليوسف وغيرها . والتي عنونت مقالاتها بالشيخ العاشق ، وعودة الشيخ إلى صباه ، علما بأن الشيخ - رحمه الله وعغا عنه - كان قد قال في أول قصيدة نظمها في السيدة أسماء :

لست أخشى قول حسادي شيخ يتصابى ..

كل ما أخشاه أن تنسي فؤاداً فيك ذابا ...

فأرى الأزهار شوكا وأرى التبر ترابا (1)

خسئت أيها الحكواتي..العكروت ..الجهول ، فالسيدة أسماء دكتورة ، وليست قاصرة؟ وتدعى لمؤتمرات تبحث مستقبل اللغة العربية ، وأنت كما نزعم حصلت على الليسانس في الأدب العربي ، بالدفش والرفس؟! ففي أي مؤتمر شاركت .ربما في مؤتمرات قلة الأدب والعهر والفجور؟؟ أو في مؤتمرات اتحاد الكتاب الفلسطينيين الغلابا... لتتجسس عليهم؟!

1 - رحمك الله يا شيخ قرضاوي ، ولو كنت حيا في زمن الامام ابن حزم الأندلسي - رحمه الله - ، لأفرد لك صفحات كثيرة في كتابه (طَوْقُ الْحَمَامَةِ وَظِلُّ الْعَمَامَةِ فِي الْأَلْفَةِ وَالْآلَافِ) او في عصر ابن القيم - رحمه الله - لما بخل عليك بصفحات في كتابه (روضة المحبين ونزهة المشتاقين) ولكنك كنت في العهد الذي قال فيه لبيد ابن ربيعة : (ذهب الذين يُعَاش في أكنافهم --وبقيت في خَلْفِ كَجَدِ الأَجْرِبِ)؟! عهد الحكواتي السفیه ابن أبيه؟؟

2 - المزور أسامة بن أبيه وأبو نواس؟؟

ارتكز المشروع الذي كلف به الحكواتي أسامة فوزي على الابتذال المفرط للحرية الفردية ، وقراءة الإنسان قراءة مادية شهوانية ، واختزال صورة المرأة بأبعاد جسدية رخيصة ، والسعي لإحداث تغييرات جذرية في البنية الاجتماعية والقيمية . ولعل هذا هو المشروع الوحيد الذي يناسب هذا الفاسد المفسد ، يسوقه في ذلك تمرده على سلطان الدين ، وممثليه ، فلا دين له يخاف عليه ؟ وغارته المتشنجة على القيم والأخلاق والأعراف الاجتماعية، فلا قيم له يخشى زوالها؟؟ ويتعمد قلب الموازين ، فالحق باطل ، والباطل حق ، فابن تيمية والطبري والقرضاوي مزورين . وأبو نواس الداعر الماجن الداعر ، هو القارئ الفقيه المتكلم ، فالطعن في أعلام الإسلام وقادته طعن في الاسلام؟؟^(1) وأبو نواس فاز بالجائزة الأولى في مسابقة عقدها

¹ - الافتراء صار حرفة ، تتفق الملايين عليها ، من قبل جهات يهتمها أن يشعر جيلنا بعقدة بالنقص ، ليزهد بصانعي تاريخه ، وأعلام فكره ، وبالتالي ليفتش عن رجالات جدد ، وفكر جديد ، يظنه مثاليا ، لأنه صور له بترزيينات وزيادات ، وتقويم وتبجيل عن قصد ، لأنهم يعلمون علم اليقين أن احتقار رجالاتنا ، أو الزهد بتاريخنا ، فيه مسخ لذاتيتنا ، وفيه تفكيك للأمة ، واضمحلال لشخصيتها ، وأمة لا ماضي لها ، لن يكون لها حاضر ولا مستقبل ، وهذا ما يسعون إليه بكل طاقاتهم؟؟ أما نقول في نشيدنا الوطني صباح مساء : :
فمنا الوليد ومنا الرشيد فَلَمْ لا نسود وَلَمْ لا نشيد ؟

فالرشيد ختام امسك في نشيدنا الوطني ؟! .. إننا لن نسود ولن نشيد ما دمنا تسمح لصاحب الأغاني ، ولجورجي زيدان ، وذيولهم أمثال الحكواتي ابن أبيه ، أن يؤرخوا لتراثنا ، إننا لن نسود ولن نشيد ، ما دمنا لا نقدر نهجهم ، وفكرهم ، وعزيمتهم . حتى أصبحنا غرباء عنهم ،

يعقوب الحضرمي لأهل البصرة؟؟ وقال له الحضرمي اذهب فأنت أقرأ أهل البصرة ، وأعطاه خاتمه الذهبي جائزة له ؟؟ (¹) وكان صديق هرون الرشيد (²) ..

نكتفي بالانتساب إليهم فقط ، وليس هذا فعل الأمم الحية ، لأنها تغار على أعلامها ، وتدرس حياتهم بدقة ، لتكون سيرهم أسوة للأجيال ، وقدوة للشباب . رحم الله الرشيد لقد عاش حباته كلها إيمان وجهاد ، وعلم ، وخشية من الله .. ، لقد كانت حياة الرشيد جهادا مستمرا ، وعبادة دائمة : فلا يريدون أن تكون قدوة ، أو تتكرر في حياة المسلمين؟؟
فمن يطلب لقاءك أو برده ففي الحزمين أو أقصى الثغور؟!

¹ - روى أصحاب السنن إلا الترمذي أن ابن زبير الغافقي سمع عليا - رضي الله عنه - يقول : "إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ حريرا فجعله في يمينه وأخذ ذهبا فجعله في شماله ثم قال: إن هذين حرام على ذكور أمتي". ورواه الإمام أحمد أيضا في المسند. وروى الترمذي عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لإنائهم". قال النووي رحمه الله : وأما خاتم الذهب فهو حرام على الرجل بالإجماع. فالرواية التي أوردتها أيها المدلس كاذبة؟!
² - أيضا هذه الرواية كاذبة .. فليس وراء ابن أبيه لإلا التزوير ، والافتراء ، والكذب؟! أفرد الأستاذ المؤرخ عبد الحميد العبادي فصلا بديعا عن علاقة الرشيد بأبي نواس ، نشره بمجلة الهلال في عددها الخاص بأبي نواس (أغسطس سنة 1936م أي : قبل أن تحين ساعة مولدك المشئومة !!) تحت عنوان : (الرشيد وأبو نواس ...هل كان النواصي نديما للرشيد) أتى فيه بالمنطق الفصل في هذا الموضوع ، والعبادي مؤرخ ثبت ، قليل المؤلفات بالنسبة لعلمه الواسع ، فقال : (جمعت بين هاتين الشخصيتين العجيبتين جوامع الزمان والمكان ، ولكن باعدت بينهما فلسفة كل منهما فترددت الصلة بينهما بين السلب والايجاب ، والوجود والعدم ، وهذا هو المؤتلف مع فلسفة الرجلين ، إلى أن يقول : ليس في عامة شعر أبي نواس ولا في الثبت من أخباره ، ما يفيد أنه كان ينشد شعره الرشيد إنشادا على نحو ما كان يفعل بعض

معاصريه من أمثال أبي العتاهية ، ومروان بن أبي حفصة ، إذ كانت أمور تحول بين أبي نواس وهذه الغاية . لقد كان أبو نواس قبيح السيرة ، ماجنا ، سكيما ، متهما في نفسه ؟ مقيما بخانات الكرخ ، ومواخير ، يشرب الخمر ويعبث بالغلما ، ويصرح بكل ذلك ، حتى شاع أمره في بغداد ، وقد خاض في أمر العصبية العربية خوفا منكر ، ثم صار شعوبيا ، وبرئ من العرب قاطبة ، وهجاهم ، وادعى الأعجمية ، هذا إلى فساد عقيدته ، ومجاهرته في شعره بآراء الثنوية ، فهذه الأمور كلها لم تكن تجعل الرشيد يقبل على أبي نواس ، ويأذن له في غشيان حضرته وإنشاده ، وهو بعد الحريص على مظهره الإسلامي ، المتمت في أمر العرض والشرف . والفخر بنسبه العربي النزارى القرشي ، وقد حبسه في شرب الخمر ، وحبسه طويلا بسبب قصيدته التي هجا بها النزارية ، وحبسه كذلك من أجل جهره بالزندقة ؟؟ وقد ختم الأستاذ العبادي بحثه بتهجين كل ما تنسبه كتب القصص إلى الرشيد ، ذاكر قول ابن منظور في كتابه (أخبار أبي نواس) : (وقال بعض المترجمين : فمن يحيط علما بأحوال أبي نواس ، إن هذه الحكايات عن أبي نواس والرشيد موضوعات ، وإن أبا نواس ما دخل على الرشيد قط ولا رآه) (انظر مقال العبادي في مجلة الهلال ص 1203 ، نقلا عن كتاب ابن منظور = (صاحب لسان العرب) ص 217)

وكان له ذؤابة (جدولة) والعرب لحد الان يربون شعورهم .. وهي علامة الرجولة
؟؟ (ووضعه يده على جدولته ؟) وكان فيه شبه من شعراوي ؟؟ وكان فقيها ،
وعمره ما شرب خمر ، ولا اتغزل بالغلماں الخ ما افتراه الذمي الجهول في الحلقة
رقم (3254) ؟؟ من أكاذيب ؟؟ وكل الحلقة منقولة عن دراسة كتبها (أحمد
مولود أكاه) ؟؟ بتاريخ (2021/3/23م) تحت عنوان (الامامان الشافعي وابن
حنبل تتلمذا للشاعر أبي نواس) ؟! وهذه الرواية كذبها الامام الشافعي حيث
قال : « لولا مجون أبي نواس لأخذت العلم عنه » ⁽¹⁾ فهو إنسان ماجن ..
فكيف يأخذ الإمام الشافعي العلم عنه ؟! ألا تعرف معنى (لولا ؟) فقد سجلت حلقة
عنها ، أم أنك تهرف بما لا تعرف ؟

ومع ذلك (ولم نجد له ذكرا في طبقات الأئمة الفقهاء ، ولا مع الأئمة التسعة
الذين ذكرهم صاحبك الشرقاوي المدلس ، وتحدثت عنهم في إحدى الحلقات ؟
وشوهت سيرتهم ، وقد سبق الحديث عن ذلك وعن تدليس الشرقاوي ، إنما لأبي
نواس ذكر طاغي بين من اشتهروا بالخلاعة والمجون ؟! وقد أورد كاتب المقال

¹ - كامل سلمان جاسم الجبوري (2003). معجم الشعراء 1-6 - من العصر

الجاهلي إلى سنة 2002م ج2. دار الكتب العلمية. ص. 81.

قولاً لابن كثير في البداية والنهاية يقول فيه : (فقد ذكروا له أموراً كثيرة ومجوناً وأشعاراً منكراً...؛ فمن الناس من يفسِّقه، ومنهم من يرميه بالزندقة...؛ أما الزندقة فبعيدة عنه، ولكن كان فيه مجون وخلاعة كثيرة ؟؟) (¹) فلم يأخذ الحكواتي المزور بهذا القول وإنما أخذ بالقول الذي يريده هو ، بأن الفقيهان الشافعي وابن حنبل تتلمذا على الرقيع أبي نواس ؟؟ وهذا تزوير وتدليس ، وصدر الأستاذ (أحمد مولود أكاه) مقاله الذي غنمه منه ابن أبيه بقوله : حدثنا أبو نَؤاس الحسن بن هانئ (ت 198هـ/813م) ، قال : حدثنا حمّاد بن سَلَمَة (ت 167هـ/784م) ، عن يزيد الرِّقَاشي (ت 119هـ/738م) ، عن أنس بن مالك (ت 93هـ/713م) ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحْسِنَ ظَنَّهُ بِاللَّهِ ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ ثَمَنُ الْجَنَّةِ) !! " وقد توجهنا لأحد علماء الحديث بالسؤال عن مدى صحة هذا الحديث ، وهل له ذكر في أمات كتب الحديث ، فقال - حفظه الله - : (هذه الرواية ذكرتها بعض كتب التاريخ ، وإسنادها لا يصح ، ويزيد الرقاشي ضعيف جدا ، ومتروك الحديث ، وأبو نواس ليس بأهل ليُروى عنه ! لفسقه وتهتكه ومجونه ؟؟ ومتن الحديث صحيح من رواية جابر بن عبد الله ، والحديث مذكور في صحيح مسلم !!

فمن هو أبو نواس ؟

¹ - ابن كثير : البداية والنهاية ، 1570 ، اعتنى بها حسان عبد المنان .

هو : أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْأَوَّلِ بْنِ الصَّبَّاحِ الْحُكْمِيِّ
الْمِدْحَجِيِّ المعروف بِأَبِي نُوَّاسٍ (145هـ - 198هـ) (762م - 813م)،
شاعر عربي، يعد من أشهر شعراء عصر الدولة العباسية ، ومن كبار شعراء
الثورة التجديدية. وُلِدَ في الأهواز من بلاد عربستان ، لأب عربي دمشقي
وأمٍ عربية أهوازية سنة (145هـ / 762م). كانت كنيته الأولى أبا علي، ثم
غلبت عليه أبو نواس.^{[1][11]} ونشأ في البصرة، ثم انتقل إلى بغداد واتصل
بالبرامكة وآل الربيع ومدحهم، واتصل بالأمين. وقد توفي في بغداد سنة
(199هـ / 813م). شعر أبي نواس صورة لنفسه، ولبيئته في ناحيتها المتحررة،
فكان أبو نواس شاعر الثورة والتجديد، والتصوير الفني الرائع، وشاعر خمرة غير
منازع.، ثار أبو نواس على التقاليد، ورأى في الخمرة شخصاً حياً يُعشق، وإلهةً
تُعبَد وتُكرم، فانقطع لها، وجعل حياته خمرةً وسكرةً في موكب من الندمان
والألحان، ينكر الحياة ويتنكر لكل اقتصاد في تطلّب متع الحياة. شاعر الملاحظة
الدقيقة والإحساس العنيف، شاعر الهجران الذي يكثر من الشكوى. وهكذا كان أبو
نواس زعيم الشعر الخمري عند العرب.

نشأته : بعد هزيمة مروان في معركة الزاب الأعلى، انتقلت أسرة الشاعر إلى
البصرة، والطفل أبو نواس في الثانية من عمره، وقيل في السادسة، وما لبث أن
مات أبوه، فأسلمته أمه إلى الكتاب، ثم إلى عطار يعمل عنده أجيراً، يبيري عيدان
الطيب... توفي والده فانتقلت به أمه من الأهواز إلى البصرة في العراق، وهو في

السادسة من عمره، وعندما أيفع وجهته إلى العمل في حانوت عطار وحين آلت الخلافة إلى بني العباس، انتقل من البصرة إلى الكوفة، ولم تذكر لنا كتب التاريخ سبب ذلك، غير أنه التقى **والبة بن الحباب الأسدي الكوفي** أحد الشعراء اللامعين في ميدان الخلاعة والتهتك، فعني به واهتم به أي عناية، إذ عمل على تأديبه وتخريجِه. وصحب جماعة من الشعراء الماجنين : **كمطيع بن إياس ، وحمام عجرد**. ثم انتقل إلى بادية بني أسد فأقام فيهم سنة كاملة آخذاً اللغة من منابعها الأصلية. ثم عاد إلى البصرة وتلقّى العلم على يد علمائها وشعرائها أدباً وشعرا .

وعندما توفي والده تلقّاه شيخ من شيوخ اللغة والأدب والشعر، هو **خلف الأحمر** فأخذ عنه كثيراً من علمه وأدبه، وكان له منه زاد ثقافي كبير حتى أنه لم يسمح له بقول الشعر حتى يحفظ جملة صالحة من أشعار العرب . وما كاد أبو نواس يبلغ الثلاثين، حتى ملك ناصية اللغة والأدب، وأطل على العلوم الإسلامية المختلفة، من فقه وحديث، ومعرفة بأحكام القرآن، وبصر بناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، وما أن تم لابن هاني هذا القدر من المعرفة حتى طمح ببصره إلى بغداد، عاصمة الخلافة، ومحط آمال الشعراء. ولكن نظرة سريعة في ديوانه تجد غلبة الخمر عليه، للحد الذي جعله يفضلها على كل شيء.

ولم يقتصر طلبه العلم على الشعر والأدب بل كان يدرس الفقه والحديث والتفسير حتى قال فيه ابن المعتز في كتابه 'طبقات الشعراء' : « كان أبو

نواسٍ عالماً فقيهاً عارفاً بالأحكام والفتيا، بصيراً بالاختلاف، صاحب حفظٍ ونظرٍ ومعرفةٍ بطرق الحديث، يعرف محكم القرآن ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه.»^(1)

وفي البصرة شغف أبو نواسٍ بجاريةٍ تدعى 'جنان' وغناها بشعرٍ كثيرٍ يعبر عن عمق شعوره نحوها. وقد قصد أبو نواسٍ بغداد وامتدح هارون الرشيد ونال مكانةً مرموقةً لديه، ولكنه . أي هارون الرشيد . كان كثيراً ما يحبسه عقاباً له على ما يورد في شعره من المبادل والمجون. وقد أطل الرشيد حبسه حتى عفا عنه بشفاعته من البرامكة الذين كان أبو نواسٍ قد اتصل بهم ومدحهم. ولعل صلته الوثيقة بهم . هي التي دفعته إلى الفرار حين نكبهم الرشيد فيما بعد بنكبة البرامكة.

ذهب أبو نواسٍ إلى دمشق ثم إلى مصر متجهاً إلى الفسطاط، عاصمتها يومذاك، واتصل بوالي الخراج فيها **الخصيب بن عبد الحميد** فأحسن وفادته وغمره بالعطاء فمدحه بقصائد مشهورة. توفي هارون الرشيد وخلفه ابنه الأمين، فعاد أبو نواسٍ إلى بغداد متصلاً به، فاتخذهُ الأمين نديماً له ، يمدحه ويُسمعه من طرائف شعره. غير أن سيرة أبي نواسٍ ومجاهرته بمبازله جعلتا منادمتهُ الأمين تشيع بين الناس. وفي نطاق الصراع بين ابني الرشيد، الأمين والمأمون، كان خصوم الأمين يعيبون

¹ - انظر ابن المعتز : طبقات الشعراء ص 201 .. وكان قد قال ابن المعتز : ومات في بيت خمارة كان يألّفها ص 193 وقال ص 195 : وكان خليعاً ماجناً، وفتى شاطراً (والشاطر هو الخبيث الفاجر) ؟؟

عليه اتخاذ شاعرٍ خليعٍ نديماً له، ويخطبون بذلك على المنابر، فيضطرب
الأمين إلى حبس شاعره. وكثيراً ما كان يشفع الفضل بن الربيع له لدى
الخليفة فيخرجه من سجنه. وعندما توفي الأمين رثاه أبو نواسٍ بقصائد تتم عن
صدق عاطفته نحوه.

وفاته : لم يلبث أبو نواسٍ أن توفي في عام (199هـ / 813م)، قبل أن
يدخل المأمون بغداد، وأختلف في مكان وفاته أهـي في السجن أم في دار إسماعيل
بن نوبخت. وقال ابن المعتز : **ومات في بيت خمارة كان يألـفها (1)** ، وقد
أختلف كذلك في سبب وفاته، وقيل إن إسماعيل هذا قد سمّمه تخلصاً من
سلطة لسانه. وذكر الخطيب البغدادي، صاحب كتاب تاريخ بغداد، في الجزء
السابع، صفحة 448، إن الشاعر أبو نواس دُفن في مقبرة الشونيزية في الجانب
الغربي من بغداد ، في **تل اليهود؟؟ (2)**. يوجد في مدينة بغداد عدة أماكن
سميت على أسم أبو نواس. منها شارع أبو نواس الشهير ، الذي يمتد على
الضفة الشرقية لنهر دجلة، في أحد الأحياء التي كانت ذات يوم أحد معالم
المدينة. وتقع حديقة أبو نواس على امتداد 2.5 كيلومتر بين جسر الجمهورية
ومنتزه يمتد حتى نهر الكرادة بالقرب من جسر 14 تموز.

هل كان أبو نواس شاعر الرشيد ؟

¹ - ابن المعتز : طبقات الشعراء ، ص 193

² - ابن كثير : البداية والنهاية ، ص 1571 وهذا سر مدح ودفاع الحكواتي الرزّيل عنه ؟

ذكر الحكواتي المدلس أن أبا نواس كان صديق هرون الرشيد؟! وهذا غير صحيح

فقد امتلأت صحف ألف ليلة وليلة ، وكتب الأدب الإخباري بوقائع يُدَّعى حصولها بين الرشيد وأبي نواس ، يخرج قارئها بانطباع مؤداه : أن ذلك الشاعر المبتذل كان نديما للرشيد ؟! يجلس معه في ندوات أدبه ، ويصحبه في غدواته وروحاته ، وانتقلت هذه الأخبار إلى أحاديث العامة ، فصارت أكثر ذيوعا ، وأوسع ترديدا .. وقد ألقت على سيرة هرون الرشيد ظلالا من العبث والاستخفاف ، فأفقدته وقاره ، وجعلته يأتي من الأمور ما لا يليق بإنسان مهذب ، فضلا عن أمير المؤمنين ذي الجلالة والوقار !! وقد جمع عالم كبير ، ولغوي شهير وهو ابن منظور صاحب معجم (لسان العرب) نواذر أبي نواس ، وقد ذكر في مقدمته أنه لم يثبت أن أبا نواس قد اتصل اتصالا وثيقا بالرشيد ، ولكنه يجمع ما يقال !! وقد أفرد الأستاذ الكبير المؤرخ عبد الحميد العبادي فصلا بديعا عن علاقة الرشيد بأبي نواس نشره بمجلة الهلال في عددها الخاص بأبي نواس (أغسطس سنة 1936) وسبقت الإشارة إليه وأنه ليس في شعر أبي نواس ما يفيد أنه كان ينشد شعره الرشيد إنشادا على نحو ما كان يفعل بعض معاصريه من أمثال أبي العتاهية . ومروان بن أبي حفصة ، إذ كانت أمور تحول بين أبي نواس وهذه الغاية .. ونعيد ما ذكرناه بأن أبا نواس كان قبيح السيرة ، ماجنا ، سكيما ، متهما في نفسه .. وضع خطأ تحت هذه العبارة ، مقيما بخانات (الكرخ) ومواخيره ، يشرب الخمر ، ويعبث بالغلما ، ويصرح بكل ذلك ، ومات في خمارة كما يقول ابن المعتز !!!

وقد روت كتب الأدب أبياتا منتحلة زعم راويها أن أبا نواس قالها في الغزل استجابة لاقتراح الرشيد ، وهذا مستبعد، لأن الرشيد لم يكن يعجب بشاعر من شعراء الغزل قدر إعجابه بالشاعر العفيف (العباس بن الأحنف) إذ كان يفسح له مكانا طيبا في مجلسه ، كما يسافر معه في رحلاته إلى الحج وإلى المشرق ..

وقد جمع الباحث الدكتور محمد بن علي الهرفي كتابا تحت عنوان (هرون الرشيد بين السيرة الواقعية والسيرة الشعبية) ذكر فيه أمثلة جيدة للقصص المنسوبة للرشيد مع أبي نواس وغير أبي نواس في كتب التراث الشعبي ، فبين ما بهما كم المتناقضات التي تنطق بالافتعال .. وحمل على أمثال (أبي الفرج الاصفهاني - صاحب كتاب الأغاني) (¹) ومن هذا حذوه حملات مؤيدة بالمنطق ..

وللعقاد شيخ الادباء كتاب تحت عنوان (أبو نواس) قال فيه : (فما هي حقيقة الشخصية النواسية التي أشاعت ذكره في أيام حياته، وقبل أن تتحول بها الشهرة من دلالة إلى دلالة؟ أيسر ما يقال في كلمة واحدة أنه «إباحي».

وقد كان حقاً إباحياً غالباً في الإباحة، إذا كان المقصود بالإباحة أنه كان يستحل المحرمات، ويخالف الدين والعرف والطبيعة. ولكن الإباحي قد يخفي رذائله وموبقاته، وقد يداري الناس ويتسم بينهم بسمة الصلاح والتقوى، ولعل الأكثرين من الإباحيين

¹ - انظر : كتاب الأستاذ وليد الأعظمي " :السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني " ، وكتاب: "كتب حذر منها العلماء" للشيخ مشهور سلمان .وقد أحالوا فيهما على مراجع أخرى للاستفادة منها.

في عصر أبي نواس خاصة كانوا على هذه السنة؛ لأنه كان باتفاق واصفيه عصر شكوك واختلاط ونفاق. وأيسر ما يقال بعد ذلك أنه «إباحي متهتك» يظهر أمره، ولا يتكلف لإخفائه. وذلك كذلك وصف صحيح، فمن قال عن أبي نواس: إنه «إباحي متهتك» فقد وصفه بما كان عليه؛ لأنه كان يقارف المنكرات ويعلمها ولا يحفل بمداراتها، وهذا يكفي للصدق في وصفه على حقيقته، ولكنه لا يغني شيئاً إذا كان المقام مقام دراسة نفسية، إذ المرء قد يستبجح الرذائل ويتهتك في البطالة، ويتمادى في تهتكه غادية التماذي لعلّتين متناقضتين ترجع كل منهما إلى خلال نفسية بعيدة من خلال الأخرى في بواطنها وظواهرها. فقد يتهتك المرء؛ لأنه هينٌ على نفسه يعلم أنه هين على الناس، مسلّم بحقارته، شاعر بقلة الجدوى من التستر والمدارة، وأنه يهبط من المهانة إلى حضيضها، فلا ينفعه أن يحتجب ولا يضره أن يتكشف ويتبذل، ومثله في هذا مثل الوضع الساقط الذي لا يبالي أن يخرج للناس في مبادله، إذ ليس له زي غير زي المبادل، ولسان حاله كلما أحاطت به نظرات الاحتقار قول القائل: أنا الغريق فما خوفي من البلل..

بل لعل النظرات لا تحفل به وتتخطاه لهوان شأنه، فلا تقف عنده محتقرة أو غير محتقرة. هذه حالة من حالات التهتك أو المجون، وهو كلمة واحدة في اللغة العربية تعبر عن الإباحة المتهكة. أما الحالة الأخرى فهي نقيض هذه الحالة في باطنها وظاهرها؛ لأن صاحبها يتحدى بها الناس عامداً أن يسخر منهم، ويكشف رياءهم، وقد يهون عليه شأن الرياء والصراحة، فلا يعلن رذائله كراهة للرياء وحباً للصراحة؛

بل يعلنها لأنه يريد أنه «يقرر شخصيته» ويشعر الناس بوجوده، ويستخف بما يسترونه ويعلنونه، فلا هو مكترث لهم متسترين ولا مكترث لهم معلنين. حالتان نقيضتان: حالة من ينسى «شخصيته»، ولا يراها أهلاً للذكر مشهوراً أو غير مشهور، وحالة من يقرر «شخصيته» ويتعمد الجهر بالمخالفة؛ لأن الجهر هو سبيله إلى هذا التقرير. فأيةُ الحالتين هي حالة أبي نواس؟

ليست هي الحالة الأولى على التحقيق؛ لأن ما روي عنه وما روي من كلامه يعربان عن رغبة في التهتك والمجاهرة به، ولا يقفان عند حد الجرأة، وقلة التكلفة للمدارة. ولا نستقصي هنا كلامه في هذه الأغراض، فإن لهذا الاستقصاء مواضعه عند نقده وتحليله، ولكننا نجتزئ بأبيات في جملة أغراضه تشير بغير عناء إلى هذا المعنى. فهو الذي يقول في الجهر بمعاقرة الخمر بيته المشهور:

ألا فاسقني خمراً وقل لي: هي الخمر --- ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهرُ
وهو الذي يقول في العشق: الحمد لله أني --- على حداثة سنّي
فقتُ المحبين طُرّاً --- ببعض ما شاع عني

وهو الذي يقول في مقارفة اللذات عامة:

أطيب اللذات ما كان جهازاً بافتضاح

وهو الذي سمّى السمعة السيئة جاهاً يحتفظ به، ولا يفرط فيه حين نصح أبو

العتاهية بالتوبة، فقال ساخرًا منه:

أتراني يا عتاهي --- تاركًا تلك الملاهي

أتراني مفسدًا بالنسك بين المُرد جاهي

ومهما يكن من تبذله فلم تكن مسألة التبذل عنده علمًا بهوانه ورضاءً بهذا الهوان،
ويأسًا من دفعه بالصيانة والمدارة، إذ كان معروفًا عنه أنه كان يتعمد أن يلقي ذوي
الوجاهة والرئاسة بالتيه والكبرياء، وكان يذكر ذلك في شعره، فيقول في غير موضع:

لقد زادني تيهًا على الناس أنني ---- أراني أغناهم وإن كنتُ ذا فقرٍ

وإنما كانت مسألة التبذل عنده مسألة ظهور متعمد، واستخفافًا برأي الناس؛ لأنه يريد
أن يلقي في روعهم أنهم أهون لديه من أن يتستر لهم، وأن ينزل عن لذة من لذاته
لمرضاتهم، وأنهم من هوانهم عليه يتحداهم، ويطلب مذمتهم ويؤثرها على ثنائهم.
والواقع أن الإغظة والظهور (¹) هما بيت القصيد، وأن صاحب المزاج قد يهمله
أن يغيظ جمهرة الناس بالمخالفة، وإن كانت مخالفة إلى التقوى والصلاح؛ لأن
«الظهور» وإثارة الشعور هما الهوى الغالب عليه. ولو كانت الإباحية النواسية
مقصورة على ما اشتهر به أبو نواس من إدمان السكر، وإيثار الذكران على الإناث،
لما فسرته ولا فسرته شيئًا منها هذه الظاهرة النفسية الواضحة؛ ظاهرة التحدي
بالإباحية المتهتكة، فإن صاحب الإباحية المقصورة على إدمان السكر، وإيثار
الذكران على الإناث قد يخجل منها، ويسترها ويجتهد اجتهاده للخلاص منها، وقد
ينتهي به الأمر إلى التهتك الذي وصفناه في الحالة الأولى، وهي حالة المهانة
والاستكانة إليها. وإنما تفسر آفات أبي نواس جميعًا ظاهرة نفسية أخرى هي

¹ - أليست هذه تصرفات المدلس أسامة فوزي في كل ما يقول ويفعل ؟؟

«النجسية»، التي جعلناها عنواناً لهذا الفصل، وفيها تفسير لآفته الكبرى وتفسير للآفات الصغرى التي تتفرع على جوانبها. هذه «النجسية» شذوذ دقيق يؤدي إلى ضروب شتى من الشذوذ في غرائز الجنس وبواعث الأخلاق، ويلتبس الأمر من أجل هذا بين النجسية، وتلك الضروب المختلفة من الشذوذات الجنسية، وهي مخالفة لها في دخیلها، مناقضة لبعضها في ميولها ونزعاتها، فقد تميل بصاحبها إلى العلاقة الطبيعية بين الذكر والأنثى، أو تميل إلى علاقة شاذة بين شخصين من جنس واحد، كما كان يحدث أحياناً من أبي نواس في غزله بالمذكر تارة ، وغزله بالمؤنث تارة أخرى، وفي الجمع أحياناً بين ما يزعمه عشقاً لأكثر من فتاة واحدة، وما يزعمه عشقاً لأكثر من فتى واحد، ولا أصل للعشيقين في نهاية المطاف غير النجسية في قرارها العميق.⁽¹⁾ أليست هذه الحالة النجسية هي التي تفسر تصرفات ابن أبيه الرزبل أسامة فوزي والتي تبدو واضحة في سلوكياته رحمك الله أيها الأديب الكبير؟؟ وهذه الحملة على هرون الرشيد لتشويه سيرته وسمعته ثأراً وانتقاماً لموقفه من نقفور كلب الروم إذ كتب له قائلاً : [] من أمير المؤمنين هرون الرشيد إلى نقفور كلب الروم الحواب ما ترى لا ما تسمع؟؟ [] لا يريدون لهذه الصورة الجميلة .. صورة العزة والإباء أن تتكرر في حياة المسلمين !! أما المؤرخ والأديب الكبير (محمد كرد علي) فقد كتب مقالاً حيداً تحت عنوان : (

¹ - انظر : عباس محمود العقاد : أبو نواس ص 23 وما بعدها .

جبار بني العباس ليس بالمستهتر الماكن) (¹) وهو مقال ينعي على بعض من تناول سيرة الرشيد بالإمعان في وصف مظاهر اللهو والاستهتار (فجبار بني العباس الذي أشجى الروم وقمعهم ، وكان من أكبر همهم ألا يدعهم يوماً يتنفسون الصعداء ، وأغزى ابنه بلاد الروم مرة فقتل خمسين ألفاً ، وأخذ خمسة آلاف دابة بسروج الفضة ولجّمها ، وعمل من السفن الحربية ما لم يقدّم بمثله أحد قبله ، وقسم الأموال في الثغور والسواحل ، واختزل الثغور من الجزيرة وقنسرين ، وسماها العواصم ، هذا الجبار يستحيل أن يكون كما صورته كتب الأدب والمحاضرات ورد رداً مفحماً على المستشرق (ستر ستين) الذي زعم أن عهد الرشيد كان مبدأ الانحلال والانحطاط في الدولة العباسية ..ورده ابن أبيه وسمى عصر الرشيد بعصر الجواري والغلمان ..ولو سمعك الأديب الكبير (محمد كرد علي) لرد عليك بالنعال وليس بالمقال ؟! أما الأديب الكبير الساخر (عبد العزيز البشري) فقدم مقاله بفقرة عن مكانة الرشيد عن الخاصة والعامة ، ثم كر على تهجين الروايات التي تزعم أن أمير المؤمنين كان منهمكاً في الشراب والمجون . فقد رمي التاريخ العربي - وعلى الأخص ما يتصل منه بالآداب - بطائفة من الرواة كانوا يتكثرون بألوان المبالغات الفادحة أحياناً ، طلباً للإطراف ، والإغراب ، ولو أحصيت ما أعطى المهدي الشعراء ، وما أجاز به الرشيد الشعراء والمغنين ، ما تركت على ظهر الأرض درهما ولا دينارا ، ولا حلفت فيما أحن بطنها أوقية من ذهب أو فضة ؟؟ (²)

¹ - مجلة الهلال ، أغسطس 1940م ، العدد الخاص بالرشيد ص 1101 .

² - عدد الهلال السابق ص 1146.

أما الدكتور (زكي مبارك) : فقد تحدث عن الرشيد وقال : إن من الجريمة أن نصدق كل ما ذكره الرواة عن الرشيد ، لأن تلك الروايات وصلت إلى حد السخف والهزل ..إن الرشيد ربما عرف مجالس الأنس في الحدود التي تسمح بها منزلة خليفة عظيم ، له سلطان في المشرق والمغرب ، وله خاق ينهاء عن التبذل ، ودين يحميه من السقوط (¹)

3- الحكواتي ابن أبيه ... والأصنام

تحدث الحكواتي ابن أبيه عن هبل في الحلقة (2103) وأخذ يحبش (حسب تعبيره الفصيح البليغ؟؟) عن عمرو الخزامي ، وعن رب قريش هُبْلُ ، وخلط عباس بدباس .. ونقول : يعتبر هبل من أقدم الأصنام التي عبدها العرب، وذكروا أن عمرو بن لحي الخزاعي(²) مرض مرضاً شديداً، ف قيل له: إن في البلقاء من الشام حَمَّة - عين

¹ - مجلة الثقافة المصرية العدد (662) 1951/9/3م

² - نسبة إلى قبيلة خزاعة التي كانت لها السيادة على مكة آنذاك ، والخزامي نسبة لمن يا بتاع اللغة ، نسبة لخزام ؟ وهل هناك قبيلة في مكة بهذا الاسم ، هناك قبيلة(بني مخزوم) وشتان ما بين الاسمين؟؟ وأول من أدخل الوثنية الى مكة وما جاورها هو : عمرو بن لحي سيد خزاعة ، وذاك أن جُرهما كانوا قد طغوا في الحرم ، وظلموا ، واستحلوا منه أمورا عظاما ، فأرسل الله إليهم (خزاعة) حين أحلاهم بيل الحرم من بلادهم ، فطردوا (جرهما) منه ، وقتلوا من قتلوا منهم ، فشفي بذلك صدور أهل الحرم وكان رئيس خزاعة (عمرو بن لحي) فتولى سدانة البيت ، ودانت له العرب ، واتخذوه ربا؟؟ لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ، وكان فوق ذلك قد ملكهم بإحسانه ، فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة ، وكسى عشرة آلاف حلة ، وكان يطعم الحجيج السويق .. فدعاهم

ماء معدنية - والراجح أنها (حمامات عفرا) (¹) التي تقع على بعد 26 كيلومتراً من مدينة الطفيلة في جنوب الأردن، وتتدفق فيها المياه من أكثر من 15 نبعاً، وتمتاز مياه هذه الينابيع بحرارتها واحتوائها على المعادن ، فلو أتيتها برئت، فأتاها واستحم بها فبرئ، وقد وجدهم يعبدون الاصنام، فسألهم عنها، فقليل له: إننا نستسقي بها المطر، ونستنصر بها على العدو، فسألهم أن يعطوه منها، ففعلوا، فقدم بها مكة، ونصبها حول

لعباداة الأوثان ، فأجابوه ..انظر : أديان العرب في الجاهلية - محمد نعمان الجارم ، القاضي بالمحاكم الشرعية ، ط1، سنة 1923 صفحة : 128-129 .

¹ - وهناك أيضاً **ينابيع الحمة** التي تقع في أقصى جنوبي الجولان المحتل تتألف من مدينة سياحية صغيرة ومنتجع صحي.. و**حمامات ماعين** تقع على بُعد 58 كيلومتراً جنوبي عمان، وتنخفض هذه المنطقة 120 متراً عن سطح البحر، وتشتهر بمنتجعاتها وعياداتها الطبيعية التي تقدم العلاج للمصابين بالأمراض الجلدية وأمراض الدورة الدموية، وآلام العظام والمفاصل والظهر والعضلات. وكانت منطقة **عفراء** من المناطق الحيوية آنذاك ، فبعد هزيمة قريش وحلفائها في **غزوة الأحزاب**، وعقد النبي صلح الحديبية مع قريش، أرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - رسائل إلى الملوك والرؤساء في البلاد المجاورة يدعوهم فيها إلى الإسلام، وكان من ضمن الذين أرسل إليهم رسالة ملك بُصرى، حمل رسالة النبي الصحابي الحارث بن عمير الأزدي، فاعترضه **شرحبيل بن عمرو الغساني** والي **البلقاء** الواقع تحت الحماية الرومانية وأوثقه وضرب عنقه بالقرب من حمامات عفراء ؟! انظر : ابن الكلبي : الأصنام ص 8.

الكعبة ، وفرق الباقي حولها. هذا ويعد (مناة، وهبل، وأساف، ونائلة) من أبرز الاصنام التي جلبت في سفرته من الشام، وأودعها مكة وما حولها. وكان (هبل) أعظم أصنام قريش (الحكواتي يسميه بلغته العربية البليغة الفصيحة بالكنج؟؟) مصنوعاً من عقيق أحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى، وقد أدركته قريش فجعلوا له يداً ذهب، حسب الأزرقى وابن الكلبي ، ويقول ابن حبيب إن هبل كان لبني بكر، ومالك، ومِلكان ، وسائر بني كنانة ، وكانت قريش تعبد صاحب بني كنانة، وبني كنانة يعبدون صاحب قريش . ويعودُ ذكر هبل - كما قيل - إلى قوم ثمود، حيث كان معبوداً عندهم، ودخل في أسماء الأعلام المركبة لديهم، نجده في اسمي علم : بن هبل ، وخصي هبل . والاسمان يشيران إلى أن الثموديين كانوا يندرون أحد الأبناء لهذا الإله ، كما أن من عباده من كان يقدم له ذكوره قرباناً له ، لينضم إلى خصيان معبده . استمرت عبادة هبل عند العرب حتى مجيء الإسلام ، يقول الواقدي: كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً مرصصة بالرصاص، وكان هبل أعظمها، وهو وجه الكعبة على بابها ، وكانت له خزانةً للقربان، فيما يروي الأزرقى . نُصب هبل على البئر في بطن الكعبة، واسم البئر الأخسف، وتسميها العرب الأخشف، حسب الأزرقى وكانت أمامه حفرة اسمها بغبغ ، وتذكر رواية عربية في أصل البغبغ، أن إبراهيم -عليه السلام - حفر جُباً في بطن البيت على يمين من دخله يكون خزانة للبيت يلقي فيه ما يُهدى للكعبة، وهو الجب الذي نصب عليه عمرو بن لحي (هبل، فيما يروي ابن الكلبي أن أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، وكان يُقال له هبل خزيمة .

هدم هبل :

وهبل هو الذي قال له أبو سفيان بن جرب حين انتصر المشركون يوم أحد : اعل هبل ، أي علا دينك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الله أعلى وأجل ! : وينقل الرواة العرب عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في هدم أصنام الكعبة، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان ما يزيد على أن يشير بالقضيب إلى الصنم فيقع لوجهه، فطاف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبعا على راحلته ، يستلم الركن الأسود بمحجنته (العصا المعقوفة من طرفها الأعلى) ، فلما فرغ من سبعة ، نزل عن راحلته، ثم انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المقام، وجاءه معمر بن عبد الله بن فضلة فأخرج راحلته، والدرع عليه والمغفر ، وعمامته بين كتفيه ، فصلى ركعتين ثم انصرف إلى زمزم، فاطلع فيها ، فنزع له العباس بن عبد المطلب دلواً فشرب ، وأمر بهبل فكُسر ، وهو واقف عليه (¹)

¹ -انظر : الأصنام، لابن الكلبي 7-27 . والمغازي 2: 832، والمحبر لابن حبيب 315-318 . والملل والنحل 2: 580 ومعجم آلهة العرب قبل الإسلام، جورج كدرص 218 أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار : - محمد بن عبد الله الأزرقى . 1: 187، 188. وعبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي، سخط النجوم العوالي في انباء الأوائل والتوالي: 226/1، تاريخ ابن الوردي: 64/1 ، والبغدادى، خزانة الأدب : 206/7. والحموي، معجم البلدان ج:=: 204/5.

فمن هو عمرو بن الحي الخزاعي ؟

يصر المزور أسامة فوزي على أن عمرو بن لحي الخزاعي وليس الخزاعي مدعيا كذبا أن السمعاني ذكره كذلك في أنسابه ، وذهبنا للسمعاني فوجدناه يتبرأ من كذب المزور أسامة ، ولم يقل ذلك (¹) ، حتى الأسماء لم تسلم من تزويره ، ويتهم زورا وبهتانا المؤرخين العرب كالطبري وابن كثير وغيرهما بالتزوير - رمتي بدائها وانسلت - ؟! بحجة أن الخزاعي نسبة لبني مخزوم ، أركان حرب الجزيرة العربية ، لأن منهم (سيف الله المسلول - رضي الله عنه -) وهل النسبة لبني مخزوم تكون الخزاعي أم المخزومي يا بتاع اللغة العبرية ؟ وفي الجزيرة العربية أكثر من خالد ، يوازونه في

¹ - قال السمعاني : الخزاعي : بضم الخاء المعجمة ، وفتح الزاي ، وفي آخرها العين المهملة ، هذه النسبة إلى خزاعة ، ثم ذكر المشهورين من خزاعة إلى أن قال : وعمرو الذي سقنا نسبه إليه هو : عمرو بن لحي بن قمعة ، بن خندف الذي قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأيت عمرو بن لحي أبا بني كعب هؤلاء يجر قصبه (أمعاءه) في النار (البخاري : 1297/3) لأنه أول من بحر البحيرة ، وسيب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وحمى الحامي ، وغير دين إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام -؟! الإمام أبي سعد عبد الكريم السمعاني ، الأنساب ، ج 2 : ص 358. تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي. وقال سحنة بن خلف الجرهامي في اتحاد (عمرو بن لحي) للأصنام : يا عمرو إنك قد أحدثت آلهة ---- شتى بمكة حول البيت أنصابا . وكان للبيت ريا واحدا أبدا ---- فقد جعلت له في الناس أربابا . لتعرفن بأن الله في مهل ---- سيصطفي دونكم للبيت حجابا . انظر : أديان العرب في الجاهلية ، للجارم ، ص 130 .

الشجاعة والقوة .. إلا أن خالدا -رضي الله عنه - يتميز عنهم بأنه لم ينهزم قط ،
لأنه سيف الله المسلول ، وسيف الله المسلول لا يجوز أن ينهزم فهو سيف الله ؟!
وذكرني هذا العناد الجهول بحكاية بيروتية قديمة يعرفها البيروتيين ، وخاصة سكان رأس
بيروت قالوا : وقف اثنان أمام صخرة الروشة الشهيرة ، فقال الأول للثاني : هل ترى
ذلك الطير الأسود الكبير على ظهر الروشة ؟ قرد الثاني هازئاً : أبدا هذا ليس طيرا ،
هذه معزة سوداء ! واحتدم النقاش بينهما ، وطال الأخذ والرد ، وفجأة طار الطائر
الأسود ، وهتف الذي كان يصر على أن الطائر معزة (عنزة) قائلا : معزة ولو طارت ؟!
ومع إصراره على أن السمعاني قال الخزامي وليس الخزاعي ، وأمسك بالكتاب ورفع قليلا
ليوحي بأن السمعاني قال ذلك ، وهو لم يقل ، والكذب والتزوير عادة متأصلة فيه وفي
قومه ، ونزل في أسلافه قوله تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ
الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بُئِسَ مَثَلٌ لِقَوْمٍ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)
(الجمعة : 5) وكذلك هذا المخلوق ، يضع أمامه الكتب ليوهم المشاهد بأنه يقول ما هو
موافق للمراجع المختلفة ، وهو في الحقيقة لا يفتحها ، إنما يقرأ ما هو مكتوب له ...
كالبلغاء ؟! يُعد عمرو بن لحي الخزاعي أبو خزاعة هو أول من غير دين إبراهيم
وإسماعيل، فحرف العقيدة، وغير الحنيفية، ودعا إلى الوثنية وعبادة الاصنام، (¹) وقد

¹ - والصنم: ما يصنع من الحجر، أو الخشب، أو يصاغ من الفضة والنحاس، وله

جسم وصورة، وقيل: إن ما اتخذته العرب من آلهة ولم يكن له صورة فهو وثن، فإذا كان له
صورة فهو صنم - أي صورة بلا جثة . أما الوثن : هو الصنم الصغير، وقيل: الوثن: كل ما
له جثة معمولة من جواهر الأرض، أو من الخشب، أو من الحجارة، كصورة آدمي، تعمل
وتتصب، فتعبد، وقد يطلق الوثن على غير الصورة . أما الانصاب: وهي كل ما عبد من

عاش عمرو بن لحي الخزاعي سنين عديدة كما تقول الكتب التي رصدت المعمرين في الجزيرة ، **كتاب المعمرين لأبي حاتم سهل السجستاني** ، مكنته من رؤية أحفاده وأحفادهم، فزعموا: أنه رأى منهم ألفاً أو ألفين، لذا يعد من أشهر المعمرين عند العرب. نجح عمرو بن لحي الخزاعي من انتزاع ولاية البيت ، ومَلَك مكة من جُرْهُم بالقوة، (وليس جَرَهُم ؟ كما ينطقها) فاستمرت ولايته وولاده وأحفاده لها ما يقرب من خمسمائة عام حتى كان آخرهم : حليل بن حبيثة الخزاعي ، الذي انتهت بموته ولاية خزاعة. وبموت حليل بن حبيثة انتهت ولاية خزاعة للبيت الحرام، وانتقلت إلى قصي بن كلاب من بعده، والروايات التاريخية مختلفة بشأن هذا الانتقال ؟! بدأت ظاهرة الانحراف العقدي لدى عمرو بن لحي الخزاعي عندما وجد استعداداً من العرب لقبول هذا الانحراف، وكان عمرو رجلاً طموحاً ويسعى إلى زعامة العرب، فرأى أن في ظاهرة الانحراف طريقاً مؤدياً لتقلده المنصب الكبير، فتحرك سريعاً، وبذل جهوداً جبارة ومضنية، ومساع حثيثة للوصول إلى الغاية والهدف المنشود. ويبدو أن فكرة الوثنية الهوجاء التي تبنى زعامتها **عمرو بن لحي الخزاعي** ، قد تبلورت نواتها وتمخضت خلال سفرته إلى الشام للعلاج ، فهناك تلقاها من الناس الذين ساعدوه على الشفاء ودلوه على سبل

دون الله، ولم يختلف الرواة في وصفها: بأنها حجارة تتصب حول الكعبة والحرم، وأمامه وأمام غيره، مما استحسنوه منها، فكانوا يطوفون حولها كطوافهم بالبيت، وينحرون عندها ويتقربون فيها للآلهة . انظر: ابن منظور، لسان العرب : 349/12. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: إبراهيم السامرائي: 239/36، البغدادي، خزانة الأدب : 73/5، 213/7.

الصحة والرخاء، فزينوا الأصنام له، ورغبوه ببعض معبوداتهم - من الاصنام - فحملها وجلبها إلى بلاد العرب ودعاهم إلى عبادتها، وتعد (مناة ، وهبل، وأساف، ونائلة) من أشهر هذه الأصنام. ولم يكتف عمرو بن لحي الخزاعي بالأصنام التي جلبها من بلاد الشام، بل أقدم على جلب أصنام أخرى، كأصنام قوم نوح التي حملها من شاطئ جدة إلى تهامة، ثم دعا العرب إلى عبادتها، وقد فعل ذلك ترسيخاً لفكرته الهوجاء، واستجابة لتابع له من الجن - حسب زعمهم - يكنى أبا ثمامة، ويعد (ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا) من أبرز هذه الاصنام. فلما حضر الموسم دعا العرب قاطبة إلى عبادتها، فأجابوه لذلك . ويضيف الاخباريون: بأن عمرو بن عوف أجابه فدفع إليه (وداً)، فحملة إلى وادي القرى، فأقره بدومة الجندل، وسمى ابنه عبد ود ، كما أجابه الحارث بن تميم بن هذيل بن مدركة، فدفع إليه (سواعاً)، فأقره بأرض يقال لها رهاط ببطن نخلة،^(1) فكانت تعبده مضر . كما أجابه مذحج فدفع إلى أنعم ابن عمر المرادي (يغوث)، فكان لبني غطيف من بني مراد، بالجُرف عند سبأ. كذلك أجابته همدان، فرفع إلى مالك بن مرثد بن جشم (يعوق)، فكان بقرية خيوان تعبده همدان ومن والاه ، كذلك أجابته حمير، فدفع إلى معد يكرب الرعيني (نسرا) فكان لحمير لآل ذي

¹ - وهنا قرأ الحكواتي نصاً مكتوباً فقال : قال ابن جبير: العزى حجر أبيض كانوا يعبدونه ، وقال قتادة (نطقها بضم القاف ؟) العزى نبتة ببطن نخلة ،يعني نبتة طالعة في نخلة ؟ واحد بقول حجر أبيض وواحد بقول نبتة طالعة من نخلة ؟؟ هذا المخلوق لا يفهم ما يقرأ .. وسواع : شجرة سمر .. يبلغ طولها أكثر من خمس وعشرين متراً ؟؟ فكيف ستكون نابتة داخل نخلة ..؟

الكلاع في أرض اليمن . (¹) لقد تكلفت جهود عمرو بن لحي الخزاعي ومساعيه بالنجاح، فتم له نشر الوثنية في بلاد العرب قاطبة على وجه السرعة، وذلك بسبب ما يتمتع به من صفات وخلال فريدة، ألبسته ولاء العرب وثقتهم، فأهله ذلك للسيادة، فغدا زعيم العرب الأول وسيدها الأكبر بلا منازع، حتى أصبح رأيه وقوله ديناً متبعاً، وشريعة لا يسعهم مخالفتها، وهذا ما يفسر لنا سر نجاحه، وسرعة استجابة القبائل لدعوته. استهدت العرب بعد ذلك في اتخاذ الأصنام وتفننت في عبادتها، حتى أصبح لأهل كل دار صنماً يتسمون به، ويعتقدون فيه النفع والضرر، ورفعت عندهم إلى مقام الربوبية، ولأن أرواح الآلهة قد حلت فيها على حد ما يزعمون، أو أنها بنات الله تقربهم إليه زلفى. وتعد البحائر (²)، والسوائب (³) ، والوصائل (⁴) ، والحوامي (⁵)، من أبرز

¹ - انظر : ابن الكلبي ، الأصنام ، ص 10-11، والبكري : معجم ما استعجم : 2 : 679.

² - البهيرة: هي الناقة إذا انتجت عشرة أبطن، شقت أذنهما، وخلي سبيلها مع أمها، فلم يُركب ظهرها ولا يُجز وبرها، ولا يشرب لبنها إلا ضيف. ينظر: سبو ابن هشام، : ج 1 / ص

142

³ - السائبة: هي الناقة إذا تابعت بين عشر اناث ليس بينهما ذكر، سببت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف. ينظر: ابن هشام، المصدر نفسه: 214/1-215.

⁴ - الوصيلة: هي الناقة أو الشاة إذا ولدت ستة أبطن، فإن كان السابع ذكراً ذبح، وإن كان أنثى ترك، فإن كان ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها، فلم تذبح. انظر: ابن هشام، : 215-214/1.

⁵ - الحامي: هو فحل الإبل يضرب الضراب المعدودة، فإذا قضى ضرابه، أعفوه من الحمل، فسمي الحامي. انظر: السيوطي ، الدر المنثور : 211/3.

القرايين التي ابتدعها عمرو بن لحي الخزاعي للعرب، حتى غدت شعائر وطقوس دينية ملزمة لهم، يحرم عليهم مخالفتها. بالرغم من انتشار الوثنية في بلاد العرب، إلا أن هناك طوائف منهم لم ينجرّفوا خلف هذه الوثنية، وبقوا متمسكين بدين إبراهيم، ومن هؤلاء من يسمون بالأحناف، هذا فضلاً عن عدد قليل من اليهود والنصارى. وبموت حليل بن حبشية انتهت ولاية خزاعة للبيت الحرام، وانتقلت إلى قصي بن كلاب، لكن الروايات التاريخية مختلفة بشأن هذا الانتقال.. اصطبغت جزيرة العرب بالوثنية، ورزحت مكة ومن حولها تحت وطأتها قروناً طويلة، ولم يفلح أحد بإزالتها، حتى من الله تعالى عليها بالإسلام، وبعث الرسول محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم -، الذي هدم أركان الوثنية، وأتى على بنيانها من القواعد، فحرر أهلها من براثن الشرك، فقام بتطهير البيت الحرام من الأصنام، وبعث السرايا لهدم البيوت التي أقيمت للأوثان، فبعث خالد بن الوليد - رضي الله عنه - لهدم بيت العزى وهي الطاغوت الأعظم لدى قريش بمنطقة نخلة، وبعث سعد بن زيد - رضي الله عنه - لهدم بيت مناة، وبعث عمرو بن العاص - رضي الله عنه - إلى سواع التي تعبد لها هذيل، فهدمت جميعها. ولم يعد للوثنية مظهر أو وجود إلى يومنا هذا.

وتحدث عن بنات الله، اللات والعزى (في الحلقة 2105) وأخذ يتفلسف بكلام لا زمام له ولا خطام.. وقال لازم للذي يتحدث عن هذه الأمور يكون مختص بالميثولوجيا مثله...؟؟؟! وقد ورد ذكر هذه الأصنام في قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ) (النجم : 19-20)

واللات " اسم لصنم كان لتقيف بالطائف. قال الشاعر :

وفرت ثقيف إلى " لاتها..... بمنقلب الخائب الخاسر !

قال فراس السواح : - هي آلهة العرب الكبرى (أيام جاهليتهم) ورأس الثالوث الإلهي المؤنث !! الذي يتألف من (اللات ، والعزى ، ومناة) ونحن لا ندري بالفعل ما إذا كان عرب الشمال قد جاءوا بعبادة اللات من عرب الشمال أو العكس ، لأن اللات لدى عرب الحجاز تبدي شبيها كبيرا باللات التي عرفها الصفويون والأنباط ، ولا سيما فيما يتعلق بصخرتها البيضاء المربعة التي كانت تنصدر بيته في الطائف.. ودخل اسمها في الكثير من الأسماء العربية مثل : زيد اللات ، وتيم اللات ، وعمرو اللات . وبيتها القديم يقع اليوم في باطن الأرض تحت منارة مسجد الطائف اليسرى ، يقول هيرودوتس في تاريخه : إن العرب يعبدون الزهرة السماوية ويدعونها اللات، لكن بعض الباحثين المحدثين ؟ يرى فيها آلهة شمسية ، فإذا كانت اللات هي الشمس ، فإن العزى هي نعمة الصباح . ومناة هي نجمة المساء ؟؟

و { اللات } اسم صنم كان لثقيف بالطائف، وقيل: اسم رجل من ثقيف كان يلت السوق (¹) ويطعمه الحاج، - " ، فلما مات قال لهم "عمرو بن لحي الخزاعي : لم يمت، ولكن دخل في الصخرة، وسمي الحجر باسمه، ، ثم أمر بعبادتها؛ وأن يبنوا بنياناً يسمى "اللات". وقيل :كانت صخرة مربعة، وكان يهودي يلت عندها السوق...، وآل في اللات زائدة زيادة لازمة كما قال ابن مالك في ألفيته :

(وقد تُزاد لازماً كاللآت....) وتأؤها قيل: أصلية ، وعليه فأصلها ليت..

وقيل: زائدة وعليه فأصلها لوى يلوي، كأنهم كانوا يلوون أعناقهم إليها، ويلتوون أي

¹ - والسويق : دقيق القمح المحمص ، وقيل غير ذلك ، ويخلطه بالسمن ، ويطعمه للحجاج .

يعتكفون عليها، ويترتب على القولين الوقف عليها، فبعض القراء يقف على الهاء على القول بزيادتها، وبعضهم بالتاء على القول بعدم زيادتها. و"اللات :من الآلهة المعبودة عند النبط أيضا، وقد ورد اسمها في نصوص " :الحجر، وصلخد، وتدمر " ويذكر الباحثون :أن النبط عدوا "اللات "أُمًّا للآلهة . (1)

وقد أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهدم بيت اللات بعد دخوله مكة المكرمة ، فأرسل إليها (أبا سفيان - والمغيرة بن شعبة الثقفي) وعندما قدما إلى الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان عليه في هدمها ، فقال له أبو سفيان : ادخل أنت على قومك ، فدخل المغيرة ، وحطم البيت والصخرة ، وجمع ما عليها من حلي ، فقد كانت من أغنى آلهة العرب ، يأتيها زوارها من كل حذب وصوب ، ويهدونها الحلي والثياب النفيسة ؟! (2)

و { العزى } : "صنم أنثى أما الذي اتخذ العزى -على رواية ابن الكلبي- فهو "ظالم بن أسعد"، وقد ذكر الطبري روايات عديدة تفيد أن "العزى "شجيرات، تعبدها" غطفان."سدنتها من بني "صرمة بن مرة." وقد تسمّى العرب وقريش بالعزى، فقالوا: "عبد العزى"، وأقسموا بها. وتشير رواية من زعم أن عمرو بن لحي

1 - المفصل في تاريخ العرب ، جواد علي ، ج6: ص 232-233.

2 - فراس السواح : كاتب سوري حمصي (أظنه إسماعيلي ؟) ، حاصل على بكالوريوس إدارة أعمال في جامعة دمشق ، ويكتب في الدراسات الإسلامية وتاريخ الأديان ؟؟ ويشير شبهات كثيرة حول الإسلام، وسجن لأنه شيعي ؟؟ موسوعة تاريخ الأديان ، ج2 ص 385 باختصار

الخزاعي قال لقومه: إن ربكم يصيف باللات؛ لبرد الطائف، ويشتوا بالعزى؛ لحر تهامة . (1)

وقيل: **العزى** : اسم لشجرة سمر لغطفان كانوا يعبدونها وحولها بناء وأستار، وكانت بواد من نخلة الشامية ، يقال له (حُراض) بإزاء (الغُمير) عن يمين المُصعد إلى العراق من مكة ، وذلك فوق (ذات عرق) إلى البستان بتسعة أميال ، فبنى عليها (ظالم بن أسعد) (بُسا أي: بيتا) وكانوا يسمعون فيه الصوت (2)؟! (وظنها أبو جدولة أنها شجرة داخل نخلة من فرط ذكائه وقد بينا المقصود منها ، فهو دابة تقرأ ولا تفهم؟!) وكانت قريش تعظمها، كما قال أبو سفيان يوم أحد " لنا العزى ولا عزى لكم " . فقال - صلى الله عليه وسلم - قولوا له " الله مولانا ولا مولى لكم " . ولعلهم قد سموها بذلك. أخذنا من لفظ العزيز، أو من لفظ العز، فهي تأنيث الأعز، كالفضلى والأفضل. قال ابن الكلبي في كتابه الأصنام: وقد بلغنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكرها يوما فقال: (لقد أهديت "للعزى" شاة عفراء وأنا على دين قومي،) (3) وكان فيمن يتقدم إلى "العزى" بالنذور والهدايا والد "خالد بن الوليد." وذكر خالد أن والده كان

1 - انظر : محمد إبراهيم الفيومي ، تاريخ الفكر الديني الجاهلي ، ص 116

2 - انظر : ابن الكلبي : الأصنام ص 18.

3 - انظر : ابن الكلبي : الأصنام ، 16 .. ذكر كثير من أهل العلم أن هذا الخبر موضوع

وافترأ على النبي -صلى الله عليه وسلم - ولم يذكر له أحد سندا وكل من رواه نقله عن

الكلبي، والكلبي متروك لا يؤخذ عنه الحديث .

يأتي "العزى" بخير ماله من الإبل والغنم، فيذبحها "للعزى" ويقيم عندها ثلاثة أيام.^(1) وقال ابن الكلبي : كانت العزى شيطانة ، تأتي ثلاث سمّرات ببطن نخلة ، فلما افتتح النبي - صلى الله عليه وسلم - مكة ، بعث إليها خالد بن الوليد ، وقال له : إيت بطن نخلة ، فإنك تجد ثلاث سمرات ، فاعضد الأولى (أي : اقطعها) فأتاها فعضدها ، فلما جاء إليه - عليه السلام - قال : هل رأيت شيئاً ، قال : لا قال : فاعضد الثانية ! فأتاها فعضدها ثم أتى النبي - عليه السلام - ، فقال : هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا . قال : فاعضد الثالثة ! فأتاها ، فإذا هو بحبشية نافشة شعرها ، واضعة يديها على عاتقيها ، تصرف بأنيابها ، وخلفها (دبية بن جرمي الشيباني ثم السلمي) وكان سادنها ، فلما نظر إلى خالد قال :

أعزاء سُدي شدة لا تكذبي -- على خالد ألقى الخمار وشمري !
فإنك إلا تقتلي اليوم خالداً __ تبوئي بذل عاجل وتنصري .
فقال خالد : يا عز كفرانك لا سبحانك ... إني رأيت الله قد أهانك !
ثم ضربها ففلق رأسها ، فإذا هي حُمّة ! ثم عضد الشجرة ، وقتل دبية السادن . ثم أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره ، فقال : تلك العزى ، ولا عزى بعدها للعرب ! أما إنها لن تعبد بعد اليوم .. ثم قال خالد : أي رسول الله ، الحمد لله الذي أنقذنا بك من الهلكة . (2)

¹ - - المفصل ج ٦ ص ٢٣٩ والأصنام ٢٧ ، ١٦ . وتاريخ الفكر الديني الجاهلي ص 117 .

² - ابن الكلبي : الاصنام ، ص 25-26

وينسب ابن الكلبي بناء بيت العزى إلى ظالم بن أسعد؛ إذ يقول : (بُس) ،
بيت لغطفان بن سعد بن قيس عيلان كانت تعبد، بناه ظالم بن أسعد بن ربيعة لما
رأى قريشا يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة، فذرع البيت، ونص العباب،
وأخذ حجرا من الصفا، وحجرا من المروة. فرجع إلى قومه، وقال : يا معشر غطفان
، لقريش بيت يطوفون حوله والصفا والمروة، وليس لكم شيء؟ فبنى بيتا على قدر
البيت ووضع الحجرين، فقال : هذا الصفا والمروة فاجتزئوا به عن الحج، فأغار
زهير بن جناب، فقتل ظالما، وهدم بناءه (1) .

وقال حسان بن ثابت في العزى ، وتنسب الأبيات لعبد الله بن رواحة :
شَهِدْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنَّ مُحَمَّدًا -- رَسُولُ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ مِنْ عَلٍّ

وَأَنَّ أَبَا يَحْيَى وَيَحْيَى كِلَيْهِمَا ____ لَهُ عَمَلٌ فِي دِينِهِ مُتَقَبَّلٌ

وَأَنَّ الَّتِي بِالْجَزْعِ مِنْ بَطْنِ نَخْلَةٍ ____ وَمَنْ دَانَهَا فَلٌ مِنَ الْخَيْرِ مَعَزِلٌ

وَأَنَّ الَّذِي عَادَى الْيَهُودَ ابْنُ مَرْيَمَ ____ رَسُولٌ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ مُرْسَلٌ

وَأَنَّ أَخَا الْأَحْقَافِ إِذْ يَعْدِلُونَهُ ____ يُجَاهِدُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَيَعْدِلُ

والفلُّ من الأرض : المجدبة ، التي لا خير فيها ولا بركة . فشبهها بذلك (2)

وأما " مناة " وهو من الأصنام المذكورة في القرآن الكريم، في قوله تعالى :

1 - المفصل ج ٦ ص ٢٤١، الأغاني ٢١، ٦٣. وتاريخ الفكر الديني الجاهلي ص 118

2 - الأصنام ، لابن الكلبي ص 44.

(ومناة الثالثة الأخرى]النجم: ٢٠[وهذا الصنم أنثى في نظر الجاهليين. وموضع "مناة" بالمشلل على سبعة أميال من المدينة، وقيل: إنه بموضع "ودان" أو في موضع قريب منه. وذكر اليعقوبي أن مناة كان منصوبا بفدك مما يلي ساحل البحر، والرأي الغالب بين أهل الأخبار أنه كان على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد. وذكر محمد بن حبيب: أنه كان بسيف البحر، وكانت الأنصار، وأزد شنوءة، وغيرهم تتعبد له. وأما سدنته: هم "الغطاريف" من الأزد (١). ويظهر من أقوال ابن الكلبي ابن هذا الصنم كان معظما وخاصة عند الأوس والخزرج؛ أي أهل يثرب، ومن كان يأخذ مأخذهم من عرب المدينة، والأزد، وغسان؛ فكانوا يحجون ويقفون مع الناس المواقف كلها، ولا يحلقون رؤوسهم؛ فإذا نفروا أتوا "مناة" وحلقوا رؤوسهم عنده، وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماما إلا بذلك، ولكن القبائل العربية الأخرى كانت تعظمه كذلك، وفي جملتها: قريش، وهذيل، وخزاعة، وأزد شنوءة (٢). وكانت صخرة ضخمة، بمكان يقال له المشلل، بين مكة والمدينة، وكانت قبيلة خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتهم يعظمونها، ويهلون منها للحج إلى الكعبة. قالوا وسميت بهذا الاسم، لأن دماء الذبائح كانت تمنى عندها، أي تراق وتسكب. قوله: { وَمَنَاة } إما بالهمزة بعد الألف أو بالألف وحدها، قراءتان سبعيتان، إما مشتقة من النوء وهو المطر، لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء، أو من منى يمني أي صب، لأن دماء النسك كانت تصب عندها. الأول: قال القاضي: (مناة) فعلة،

١ - المفصل ج٦ ص ٢٤٦

٢ - المفصل ج٦ ص ٢٤٧.

من مناه إذا قطعه. فإنهم كانوا يذبحون عندها القرابين. ومنه سميت (منى) لأنه تمنى فيها القرابين، أي: تتحر. وقال الزمخشري: وكأنها سميت (مناة) لأن دماء المناسك كانت تمنى عندها، أي: تراق. وقرئ (مناة) مفعلة من (النوء)، كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركاً بها.

وقال الكلبي في كتابه الأصنام : وكانت قريش وجميع العرب تعظمه ، (أي: صنم مناة) فلم يزل على ذلك حتى خلاج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المدينة سنة ثمان من الهجرة ، وهو عام فتح الله عليه ، فلما سار من المدينة أربع ليال أو خمس ليال ، بعث عليا إليها فهدمها . وأخذ ما كان لها. فأقبل به إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فكان فيما أخذ سيفان كان (الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان) أهدهما لها ، أحدهما يسمى : مخدما ، والآخر رَسوباً ، فوهبهما النبي - صلى الله عليه وسلم - لعلي - رضي الله عنه - فيقال : إن ذا الفقار سيف غلي أحدهما . ويقال : إن عليا وجد هذين السيفين في (الفَلس) وهو صنم طي . حيث بعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - فهدمه . (1)

ومعنى الآية : لقد ذكرنا لكم - أيها المشركون - ما يدل على وحدانيتنا، وكمال قدرتنا، وسمو منزلة نبينا - صلى الله عليه وسلم -.. فأخبروني بعد ذلك ما شأن هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، كالكالات والعزى ومناة الثالثة الأخرى. إنها أشياء في غاية الحقارة والعجز، فكيف سويتم بينها وبين الخالق - عز وجل - في العبادة، وكيف أبجتم لأنفسكم تعظيمها، وزعمتم أنها بنات الله..؟. فالمقصود بالاستفهام

¹ - الأصنام ، لابن الكلبي ص 15.

التعجيب من أحوالهم، والتجهيل لعقولهم. ويصح أن تكون الرؤية في قوله - سبحانه - وقوله: { أَفَرَأَيْتُمْ } استفهام إنكاري، قصد به توبيخ المشركين على عبادتهم الأوثان، بعد بيان تلك البراهين القاطعة الدالة على انفراده تعالى بالألوهية والعظمة، وأن ما سواه تعالى، حقير في جانب جلال الله عز وجل. { أَفَرَأَيْتُمْ } بصرية، فلا تحتاج إلا لمفعول واحد. أي انظروا بأعينكم إلى تلك الأصنام، التي من أشهرها اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، أترونها تملك الدفاع عن نفسها فضلا عن غيرها؟ إنها لا تملك شيئا، فكيف عظمتوها مع حقارتها وعجزها؟ والاستفهام - أيضا - للتهكم بهم، والتعجيب من تفكيرهم السقيم. قال الألوسي والظاهر أن " الثالثة الأخرى " صفتان لمناة. وهما على ما قيل للتأكيد.. وقال بعض الأجل الثالثة للتأكيد. و { الأخرى } للزم بأنها متأخرة في الرتبة، وضبيعة المقدار.

وقال الحكواتي الجهول (ببلاغته المعهودة) : كان في المدينة ناس اقتنعوا باليهودية ، والالوس والخزرج ليش ما بدل؟؟ عبادتهم للأصنام اقتنعوا باليهودية؟! ونقول : اليهود طارئون على المدينة المنورة ، جاءوا إليها فرارا من اضطهاد الرومان ، ولعلمهم أن نبي آخر الزمان سيظهر في جزيرة العرب ، وكانوا يعلمون من كتبهم أن نبي آخر الزمان سيبعث في جزيرة العرب وقد وثق القرآن الكريم ذلك فقال : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) (البقرة : 89) روى المفسرون في سبب نزول الآية آثارا متعددة، من ذلك ما جاء عن عاصم بن عمرو بن قتادة الأنصاري عن رجال من قومه قالوا مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه، أنا كنا نسمع من رجال يهود حين كنا أهل شرك وكانوا أهل كتاب، عندهم علم ليس عندنا،

وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فكنا إذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - رسولا من عند الله أجبنا حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فأما به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزل قوله - تعالى - { وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ إلخ الآية " . ومعنى الآيتين الكريمتين ولما جاء إلى اليهود محمد - صلى الله عليه وسلم - ومعه القرآن الكريم ، وهو الكتاب الذى أوحاه الله إليه ، مصداقاً لما معهم من التوراة فيما يختص ببعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - ونعته ، وكانوا قبل ذلك يستتصرون به على أعدائهم ، لما جاءهم النبي المرتقب ومعه القرآن الكريم جحدوا نبوته ، وكذبوا كتابه { فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ } . بنس الشيء الذى باعوا به أنفسهم . الكفر بما أنزل الله على نبيه - محمد صلى الله عليه وسلم - ، وكفرهم هذا كان من أجل البغي الذى استولى على نفوسهم ، والحسد الذى خالط قلوبهم ، وكراهية لأن ينزل الله وحيه على محمد العربي - صلى الله عليه وسلم - فباءوا بسبب هذا الخلق الذميم ، بغضب مترادف متكاثر من الله - تعالى - { وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ } جزاء كفرهم وحسدهم . والمراد بالكتاب فى قوله تعالى { وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ } القرآن الكريم ، وفى تنكيهه زيادة تعظيم وتشريف له ، وفى الأخبار عنه بأنه من عند الله ، إشارة إلى أن ما يوحى به - سبحانه - جدير بأن يتلقى بالقبول وحسن الطاعة لأنه صادر من الحكيم الخبير ، والذى مع اليهود هو التوراة ، ومعنى كون القرآن مصداقاً لها ، أنه يؤيدها ويوافقها فى أصول الدين ، وفيما يختص ببعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - وصفته - . وفى وصف القرآن الكريم بأنه مصدق لما معهم ، زيادة تسجيل عليهم بالمزمة ، لأنهم لم يكفروا بشيء يخالف أصول كتابهم ، وإنما كفروا بالكتاب الذى يصدق كتابهم . وقوله تعالى { وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ

عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا { . بيان لحالتهم قبل البعثة المحمدية، فإن اليهود كانوا عندما يحصل بينهم وبين أعدائهم نزاع، يستتصرون عليهم بالنبي - صلى الله عليه وسلم - قبل بعثته فيقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبي الذي نجد نعته في التوراة.

والاستفتاح معناه طلب الفتح وهو الفصل في الشيء والحكم فيه، كما في قوله تعالى (رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) ويستعمل بمعنى النصر لأن فيه فصلا بين الناس، قال تعالى (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) أي إن تستتصروا فقد جاءكم النصر، فالمراد به الآية الاستتصار. ثم بين - سبحانه - حقيقة حالهم بعد أن جاءهم الكتاب والرسول فقال تعالى { فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ } أي فلما جاءهم ما كانوا يستفتحون به على أعدائهم ويرتقبونه جحدوه وكفروا به. وقال - سبحانه - { فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا } ولم يقل فلما جاءهم الكتاب أو الرسول، ليكون اللفظ أشمل، فيتناول الكتاب والرسول الذي جاء به لأنه لا يجيء الكتاب إلا عن طريق رسول. ومعرفتهم بصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - وما أنزل عليه حاصلة بانطباق العلامات والصفات الواردة في التوراة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فكان من الواجب عليهم أن يؤيدوا هذه المعرفة بالإيمان به، ولكن خوفهم على زوال رياستهم وأموالهم، وفوات ما كانوا يحرصون عليه من أن يكون النبي المبعوث منهم لا من العرب، ملأ قلوبهم غيظاً وحسداً، وأخذ هذا الغيظ والحسد يغالب تلك المعرفة حتى غلبها، وحال بينها وبين أن يكون لها أثر نافع لهم لعدم اقترانها بالقبول والتصديق. ولقد حاول رئيسهم عبد الله بن سلام - رضى الله عنه -

أن يصرفهم عن العناد وأقسم لهم بأن ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - هو الحق المصدق لما معهم أن يتبعوه ولكنهم عموا وطمعوا وتنقصوه ولذا لعنهم الله تعالى، وأبعدهم عن رحمته كما قال تعالى { فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ } . وقال - سبحانه - { عَلَى الْكَافِرِينَ } ولم يقل عليهم، للإشعار بأن حلول اللعنة عليهم كان بسبب كفرهم. (1)

4 - الحكواتي وحروف المعاني

جاء صاحب برنيطة (2) لأحد المشايخ (للأشيلي) وسأله : مَا هُوَ الْكَمْوَجُ؟ فَقَالَ: أَيْنَ قَرَأْتَهَا؟ قَالَ: فِي قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ (وَلَيْلِ كَمْوَجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سَدْوْلَهُ ...عَلَى بَأْنَوعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي) ؟ فَقَالَ: "الْكَمْوَج" دَابَّةٌ تَقْرَأُ وَلَا تَفْهَمُ (

وهكذا هذا المخلوق ..يعيب على المشايخ (ويسميهم أصحاب المكناس) انهم لا يردون على من يتهم القرآن بوقوع أخطاء نحوية فيه ، وان الذي يرد عليهم هو نفسه ، لأن المشايخ لا يعرفون كيف يردون .. مع أنه ينقل كلامهم ، ويذيعه في حلقات يتكسب منها مالا حراما؟؟ ولا يفهم ما ينقله ، فيحرفه عن قصد أو عن جهل .. ونكرر القول لو أراد شخص ما تتبع أخطاء واغلاط الحكواتي اللغوية لصنع

1 - انظر: سورة البقرة ، التفسير الوسيط ، الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر السابق .

2 - أي : نونية ، وهي الي توضع للأطفال ليقضوا بها حاجاتهم من بول وبراز ، بدلا من دورة المياه : ويلبسها المتشبهون بالمستعمرين ، والحاخامات كالحكواتي ابن أبيه ؟!.

كتابا يفوق حجمه كتاب علامة العراق مصطفى جواد (قل ولا نقل ؟!)^(1) وقد تحدث الحكواتي أسامة فوزي عن مجلة أمريكية ذكرت أن اللغة العربية معقدة ، فرد عليهم الحكواتي (حامل بكالوريوس قلة الادب) ردا علميا بقوله : معقدة بعينكم ..؟! ولا في لغة ثرية ومتسعة مثل اللغة العربية (2) ، واتخذ من ذلك مدخلا للحديث عن اتساع اللغة فتحدث عن حرف من حروف المعاني في حلقيتين ، عن حرف الباء في اللغة العربية ، ودلالته في آية الضوء ، ..وأخذ يتحدث بطريقة يُموه بها على من يشاهده من المغفلين ليظنوا - ظنَّ السَّوء - أن الحكواتي يتحدث عن حرف الباء من ذاكرته ، ومعلوماته ، ولو دقق من يتابعوه النظر في عدسات نظارة الحكواتي .. لرأوا حركات عينيه وهو يتابع ما هو مكتوب على اللوحات أمامه ، إذ أنه يقرأ من لوحات منسوخة حرفيا من (جوجل) عن حرف الباء ..، فهو يسطو على ما كتبه الآخرين .. ضع عبارة (حرف الباء في اللغة العربية على اليوتيوب) تظهر لك أكثر من لوحة فيها حرف الباء .. ومعانيه في اللغة العربية ، ولتتأكد من أن هذا الحكواتي كما هو لص كتب ومساح

¹ - كتلفظه بكلمة (نموذج) ينطقها القاصي والداني بفتح النون ، وضم الواو ، وفتح الذال .. إلا أنه ينطقها : بفتح النون ، والميم وسكون الواو ، وفتح الذال ، ويعوج بها فمه !! والأصوب من كل ذلك أن يقول : **أنموذج** .

² - لا تؤاخذوه ، هو قال (ومتسعة مثل اللغة العربية) وهو يقصد مثل اتساع (أم سويد ، والبلّحة ، والععّاقة ، والزباء ، والجاعرة) الخاصة به ؟ هذه خمسة أسماء من أسماء الدُّبَر ، البالغة بضع وخمسون اسما .. ولم عدل عن ذلك مع أنه (نَبْر) (وَقاح) ؟؟

باعترافه، هو لص أفكار كذلك . قارن ما هو مكتوب على (جوجل) مع ما ينطق به
!؟ وإن كان يعيب على كثير من أمثاله انهم يقرؤون من لوحات مكتوبة أمامهم ،
ومسروقة مما كتبه غيرهم !؟

يا أيها الرجل المعلم غيره --- هلا لنفسك كان ذا التعليم .
تصف الدواء لذي السقام وذو الضنى --- كيما يصح به وأنت سقيم .
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ---- عارٌ عليك إذا فعلت عظيم ؟؟

ولحروف المعاني مكانة هامة في اللغة العربية ، فالحرف قسيم للاسم والفعل ،
فلذلك أولاه علماء العربية اهتماما بالغا ، فتناولوه بالدرس النحوي إلى جانب الفعل
والاسم ، ووضعوا له فصولا مستقلة ، وألفوا فيه كتباً خاصة ، وأفردوه بالتصنيف ،
وتتبعوا معنى كل حرف منها ، فنجد أثر تلك الحروف في تفسير النص القرآني ،
وما يتبعه من أثر في الحكم الفقهي ، ومن هذه الحروف :

حرف الباء !!

والباء: حَرْفٌ مَخْنَصٌ بالاسم، وهو أَحَدُ حُرُوفِ الجَرِّ، ويأتي على ضربين: زَائِدٌ ،
وغيرُ زائدٍ . وتكونُ هذه الباءُ زائدةً في سِتَّةِ مَوَاضِعَ سنذكرها في خاتمة الفصل .

أمَّا غيرُ الزَّائدةِ فقد ذكر لها ابن هشام أربعة عشر معنى ، (¹) وأوصلها الصَّبَّانُ
في حاشيته على الأشموني إلى خمسة عشر معنى (¹) وذكر لها المرادي (²)

¹ - ابن هشام : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : 1 / 137.

ثلاثة عَشَرَ معنىً، وهي التي وجدها الحكواتي الجهول مكتوبةً أمامه، ومع ذلك أخطأ في عرضها، وهي:

الأوّل: الإلصاق، وهو أصلٌ معناها، وتأتي لمعان أخرى توسعا، ويكون الإلصاق حقيقةً، نحو: أَمَسَكْتُ الْكِتَابَ بِيَدِي، أي: أَلَصَقْتُهَا بِهِ.. أو مجازاً: نحو: مررت بسعيد، أي التصق مُروري بِقُرْبِهِ (³)، وتسمى: باء الإلصاق.

الثاني: التّعديّة، وتسمى باء النقل، (⁴) وهي الباء القائمة مقامَ الهمزة في إيصال معنى الفعل اللازم إلى المفعول به، (⁵) أي: في تصيير الفاعل مفعولاً. تقول في (ذهب زيدٌ): ذهبْتُ بزيدٍ وأذهبْتُهُ، ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) [البقرة: 17]، (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ) [البقرة: 20]

الثالث: الاستعانة، وهي الباء الدّاخلَة على آلة الفعل؛ نحو: كتبتُ بالقلم، وضربتُ بالسيف. ومنه (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، على وجهٍ فيها، والتقديرُ: أَسْتَعِينُ بِاسْمِ اللَّهِ... وقد سَمَّاها ابنُ مالِكٍ (باءَ السَّبَبِيَّةِ) مُعَلِّلاً ذلك بقوله: (والنحويُّون يُعَبِّرون عن هذه الباءِ بباءِ الاستعانة، وآثرتُ على ذلك التعبيرَ بالسَّبَبِيَّةِ من أجلِ الأفعالِ المنسوبةِ

¹ - حاشية الصبان : 1 / 350 .

² - المرادي : الجنى الداني في حروف المعاني : ص 36.

³ - الاصول في النحو ، للسراج : 1 / 412.

⁴ - مغني اللبيب 1 / 137.

⁵ - الجنى الداني : ص 36 .

إلى الله تعالى؛ فإنَّ استعمالَ السَّبَبِيَّةِ فيها يجوزُ، واستعمالُ الاستعانةِ فيها لا يجوزُ)
(¹)

الرَّابِعُ: التعليلُ (السَّبَبُ)، وهي التي يصلُحُ غالبًا في موضعِها اللامُ، مثل: أَخَذَهُ اللهُ بِذَنْبِهِ، وَنَحَوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ) [البقرة: 54] ،
وقَوْلِهِ: (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ) [النساء: 160] ،
وقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: (فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ) [العنكبوت: 40].

الخامِسُ: المصاحبةُ، ولها علامتان: إحداهما أن يحسنَ في موضعِها (مع).
والأخرى أن يُغني عنها وعن مصحوبِها الحالُ، كقَوْلِهِ تَعَالَى: قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ
بِالْحَقِّ [النساء: 170] أي: مع الحقِّ، أو مُحِقًّا. وقَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا
وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ... [المائدة: 61] ، أي: مع الكُفْرِ، أو كافرين. وقَوْلِهِ تَعَالَى: يَا نُوحُ
اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا [هود: 48] أي: مع سَلامٍ، أو مُسَلِّمًا عليك. ولصلاحيةُ وَقُوعِ الحالِ
مَوْقِعَهَا، سَمَّاها كثيرٌ من النَحْوِيِّينَ (باءَ الحالِ).

السادِسُ: الظرفيَّةُ، وعلامتُها أن يحسنَ في موضعِها (في)؛ نَحَوُ: وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ
بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ [آل عمران: 123] ، أي: في بَدْرِ، وقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ
عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ [الصافات: 137 - 138] ، أي: وفي اللَّيْلِ، ثم قال :
لماذا لم يستخدم الله حرف في بدلا من الباء ؟ لأنه ببدر أقوى .. فوقعها على

¹ - شرح التسهيل لابن مالك ، 1 / 149-150.

الأذن أقوى .. ولم يبين موطن القوة .. ؟! إنما قال : إن العرب كانوا يدركون فصاحة القرآن فعندما قال (نصركم الله ببدر) قالوا : واو .. منتهى البلاغة .. ؟!

السابع: البَدَلُ، وعلامتها أن يحسنَ في مَوْضِعِهَا (بَدَلَ) ، كَقَوْلِ قُرَيْطِ بْنِ أُنَيْفٍ:

فليت لي بهم قومًا إذا ركبوا---- شئوا الإغارة فرسانًا وركبانا . (¹)

أي: فليت لي بَدَلهم قومًا. ومنه حديثُ عمرو بن تغلب: (فوالله ما أحبُّ أن لي بكلمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حُمَرَ النعم) (²) ، أي: بَدَلها.

الثامن: المقابلةُ والعوضُ ، وهي الباءُ الدَّاخِلَةُ على الأثمانِ والأعاضِ؛ نَحْوُ:
اشتريتُ الفرسَ بألفٍ، وكافأتُ الإحسانَ بضِعْفٍ. وقولهم: هذا بِذاك، وقد تُسمَّى بَاءُ العِوَضِ. إلا أن جدلا دار بين النحاة حول هذين المعنيين ، فلم يذكرها أغلبهم ، وحجتهم على من أثبتها أنها تكون عند ذلك بمعنى السبب . والحق أن السبب لا يمكن أن يعوض عن معنى البَدَل ، كما في قول الشاعر :

فليت لي بهم قوما إذا ركبوا ---- شئوا الإغارة فرسانا وركبانا .

فبعد أن كتب المصراع الأول (الشطر الأول) قال (شئوا ...) وبدلا من أن يقول (المصراع الثاني) قال : البيت الثاني ... ؟

فلا يمكن تفسيره بالسبب هنا ، بل إنه قد تمنى استبدالهم بقوم آخرين لا تكون

¹ - خزنة الأدب : 6 / 253. لاحظ أيها المتابع أنه يأتي بنفس الأمثلة دون تعيير .. ؟

² - أخرجه أبو داود برقم (3214) وقال الألباني فيه : صحيح .

صفتهم مثلهم **التاسع: المجاوزة**، وهي التي بمعنى (عن)، وذلك كثيرٌ بعد السؤال؛ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا [الفرقان: 59] ، أي: عنه، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ [المعارج: 1] ، أي: عن عذابٍ. ثم كرر نفس تساؤله الخاطيء : بأن عن مرادفة للباء ..وليش قال ربنا فاسأل به ، ولم يقل فاسأل عنه ، لأن وَقَعَ فاسأل به غير فاسأل عنه امام العرب الأقحاح ؟؟ فهي أقوى لأنها جزلة ؟؟ ويقوم بعد كل معنى يقرأه من معاني الباء المكتوبة أمامه ،بتكرار الجملة السابقة ، ويقوم بحركات تبين أن مكانه في (السيرك) أقوى من مكان المعلم الذي يجلس فيه .

العاشر: الاستعلاء، وهي التي بمعنى (على)؛ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) [آل عمران: 75] ، أي: على قِنطَارٍ، وهنا قال - فض الله فاه ولعن من رباه - شوفوا كيف كان القرآن يقدر اهل الكتاب المسيحيين واليهود ؟؟ ولم بعرف أن (من) تفيد التبويض ؟؟ ثم قال : على هنا مرادفة للباء - وجاء بها بدلا من على لأنها أقوى ؟؟ كما قال: (قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ) [يوسف: 64] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ) [المطففين: 30] أي: عليهم، كما قال: (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ) [الصافات: 137] ، وَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَرَبُّ يَبُولِ الثُّغْلُبَانِ بِرَأْسِهِ؟! ---- لقد هان من بآلتِ عَلَيْهِ الثُّعَالِبُ.

أي: على رأسه.

الحادي عَشَرَ: التَّبْعِيضُ، وهي التي بمعنى (مِنْ) التبعية، ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ) 1 [الإنسان: 6] ، أي: منها.

الثَّانِي عَشَرَ: الْقَسَمُ، مِثْلُ: أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَتَجْثَنَّهُنَّ، وهي أَصْلُ حُرُوفِ الْقَسَمِ، فَيَجُوزُ فيها ما لا يَجُوزُ في الواوِ والتاءِ.

الثَّالِثَ عَشَرَ: الْغَايَةُ، وهي إِفَادَةُ مَعْنَى (إِلَى)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي) [يوسف: 100] ، أي: أَحْسَنَ إِلَيَّ. ويمكنُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ التَّضْمِينِ، تَضَمَّنَتْ كَلِمَةُ "أَحْسَنَ" مَعْنَى "لَطَفَ"، فَأَتَى بَعْدَهَا بِالْبَاءِ، كَمَا يُقَالُ: لَطَفَ بِي .
ثم ختم تَهْرِيجَهُ بِأَنْ سَيَبُويَه رَصَدَ حَرْفَ الْبَاءِ ، وَوَجَدَ لَهَا مَعَانِي مُخْتَلِفَةً ، ثَلَاثَةَ عَشَرَ مَعْنَى (هو نطقها : ثلاثاشر معنى ؟؟) ، فَأَعْطَى لِكُلِّ حَرْفٍ هُوِيَةً وَاسْمَ .. ؟؟

وهذا غير صحيح ؟؟ قال المرادي : (ذكر النحاة أن أصل الباء دلالتها على (الإلصاق) وهو أصل معانيها ، ولم يذكر سيبويه غيره ؟؟ قال : إنما هي للإلصاق والاختلاط) (1) أما خروجها إلى المعاني الأخرى فهو من باب التوسع عند سيبويه .. فهو لم يعط لكل معنى من معاني الباء هويته كما افترى الحكواتي ؟؟
ثم قال بطريق المهرجين ، وبفصاحته المعهودة، وخفة دمه المقرفة ؟؟ انا شايف ناس وقفوا وبدهم يقوموا ؟ اقعدوا لسة الدرس ما خلص ؟؟

¹ - الجنى الداني للمرادي " ص 37 . وكتاب سيبويه : 4 / 217 .

وقال : حرف الباء بتيجي أحيانا (حرف جر زائد) وبعد حكاياته (المَسخرة)

فال : يعني تأتي للتأكيد .. ومكتوبة أمامه كالتالي :

الباء الزائدة : وهي المؤكدة ، ومعنى الزيادة أن سقوطه (أي : الحرف) لا يخل بالكلام ، بل يؤثر في قوة المعنى ودقته ، فإنه ليس هناك في القرآن شيء في القول ليس له معنى ، وإنما جاءت لتؤدي معنى مهما كبيرا قد يكون ظاهرا، وقد يكون غير ظاهر ، ولها مواضع تزداد فيها :

1- في الفاعل : وزيادتها فيه (واجبة ، وغالبة ، وضرورة) ..

فالواجبة : في فاعل فعل التعجب (أفعل به) الماضي الوارد على صيغة

فعل الأمر ، نحو : أكرم بسعيد ، بمعنى : ما أكرم سعيدا ، فالباء حرف جر

زائد زيادة واجبة . وسعيد : فاعل مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها حركة

حرف الجر الزائد ..

والغالبة : في فاعل كفى نحو : (وكفى بالله شهيدا) (النساء : 79)

فإن قدر الفعل بمعنى اكتف ، فهي باء التعدية ، أي : اكتف بالله شهيدا .

والضرورة : كما في قول الشاعر :

ألم يأتيك والأنباء تنمي ---- بما لاقت لبون بني زياد .

ف(ما) فاعل يأتي ، والباء زائدة للضرورة . (¹)

2- في المفعول به : والزيادة فيه سماعية غير مقيسه (²) نحو قوله تعالى :

(وهزّي إليك يجذع النخلة) (مريم : 25)

(لاحظوا كيف قرأ الآية : قال : وهزّي - بكسر الهاء والصواب : رفعها

وقال : تساقط.. (قرأها يضم الطاء) والصواب : تساقط بسكون الطاء ؟؟

وقال : بجذع النخلة (قرأها بَجَذع .. بفتح الجيم ؟؟؟) والصواب : يكسرها (

3- في المبتدأ : نحو : بحسبك زيد .. قال ابن مالك : الأجود أن يكون زيد

مبتدأ ، وبحسبك : خبر مقدم . فإن (حسب ا) من الأسماء التي لا

تعترها الإضافة (³)

4- الخبر : وزيادتها في الخبر ضربان ، مقيسه وغير مقيسه ، فالمقيسة في

خير ليس و(ما) أختها ، قال ابن هشام : وتزاد الباء بكثرة في خبر ليس

و(ما) نحو : (أليس الله بكاف عبده) (الزمر : 36) (¹)

5- النفس والعين في باب التوكيد ، يقال جاء زيد بنفسه ، وبعينه . والأصل :

جاء زيد نفسه ، وعينه . (²)

¹ - شرح التسهيل : 153 / 1

² - الجنى الداني : ص 51.

³ - شرح التسهيل : 153 / 1.

6- الحال المنفي عاملها ، لأنها شبيهة بالخبر كقول الشاعر :

فما رجعت بخائبة ركاب --- حكيم بن المسيب منتهاها (3)

ولم يذكر الحكواتي سوى أربع حالات . فكأنه لم يعرف قراءة الوجهين

الخامس والسادس ؟؟

هل في القرآن حروف زائدة ؟

لا يوجد في القرآن الكريم حرف واحد زائد ، إذ أن كل حرف من أحرفه وُضِعَ وَضْعاً مُحْكَمًا دقيقاً له مغزاه ، فالقرآن غاية لا تدرك في الأحكام والإتقان .

1- قال ابن الأثير : إن الحروف التي قيل بزيادتها في القرآن الكريم ، لو كانت زائدة لكان ذلك قدحا في كلام الله تعالى ، وذلك أنه يكون قد نطق بزيادة في كلامه ، لا حاجة إليها ، والمعنى يتم بدونها . وحينئذ لا يكون كلامه معجزا ، إذ من شرط الإعجاز عدم التطويل الذي لا حاجة إليه ، وإن التطويل عيب في الكلام ، فكيف يكون ما هو عيب في الكلام من باب الإعجاز ؟؟ هذا محال !!

ثم رد على النحوي ما ذكره من زيادة (أن) في آية يوسف (فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه) (يوسف : 96) بأنه : إذا نُظِرَ في قصة يوسف - عليه السلام - مع إخوته منذ ألقوه في الجُب إلى أن جاء البشير إلى أبيه ، وُجد أنه كان إبطاء بعيد . وقد اختلف المفسرون في طول تلك المدة ، ولو لم يكن ثم مدة بعيدة ، وأمد

1 - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 1/ 292.

2 - الجنى الداني : ص 55.

3 - الجنى الداني : ص 55. وخزانة الأدب : 10/ 137.

متناول ، لما جيء ب (أن) بعد لما ، وقبل الفعل ، بل كانت تكون الآية (فلما جاء البشير ألقاه على وجهه) وهذه دقائق ورموز لا تؤخذ من النحاة ، لأنها ليست من شأنهم؟!) (¹)

2- وتحدث الامام مصطفى صادق الرافعي عن بعض الكلمات التي يظن بانها زائدة ، وبين أن فيها لون من ألوان التصوير لو هو حذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته وعلى هذا يجري كل ما ظنَّ أنه في القرآن مزيد ، فإن اعتبار الزيادة فيه وإقرارها بمعناها ، إنما هو نقص يجل القرآن عنه . وليس يقول بذلك إلا رجل يتعسف الكلام ويقضي فيه بغير علمه أو بعلم غيره ، فما قي القرآن حرف واحد إلا معه رأي يسنح في البلاغة من جهة تظمه ، أو دلالاته ، أو وجه اختباره ، بحيث يستحيل ألَبته أن يكون فيه موضع قلق ، أو حرف نافر ، أو جهة غير محكمة ، أو شيء مما تنفذ في تقده الصنعة الإنسانية من أي أبواب الكلام إن وسعها منه باب . (²) وقد نبه الرافعي إلى أن القول +6 بزيادة الحرف من وجهة الصناعة الإعرابية لا يعني زيادة الحرف من الوجهة البلاغية ، وعليه هو لا يعترض على قول النحاة بزيادة الحروف من الناحية الإعرابية ، وإنما يعترض على من لا بصر فيسحب قول النحاة بالزيادة في الإعراب ، على غير الإعراب ، ويقول بزيادة

¹ - ابن الأثير : المثل السائر : 3 : / 17 - 19 وانظر : ج2 / 317-321.

² - - الرافعي : إعجاز القرآن ص 221—222.

الحرف في النظم القرآني ، وهذا حهل كبير ، وفساد عظيم ، لأنه فعل من لا بصر له !! (1)

3 - ويقول - نابغة الأزهر - الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز : (ليس في القرآن كلمة إلا هي مفتاح لفائدة جلية ، وليس فيه حرف إلا جاء لمعنى ، دع عنك قول الذي يقول في بعض الكلمات القرآنية إنها مُقَحَّمة ، وفي بعض حروفه إنها زائدة زيادة معنوية ، ودع عنك قول الذي يستخف كلمة (التأكيد) ، فيرمي بها في كل موطن يظن فيها الزيادة ، لا يبالي أن تكون تلك الزيادة فيها معنى المزيد عليه فتصلح لتأكيديه ، أو لا تكون ، ولا يبالي أن يكون بالموضع حاجة إلى هذا التأكيد أو لا حاجة له به . أجل دع عنك هذا وذلك ، فإن الحكم في القرآن بهذا الضرب من الزيادة أو شبهها ، إنما هو ضرب من الجهل - مستوراً أو مكشوفاً - ، بدقة الميزان الذي وُضِعَ عليه أسلوب القرآن .) (2) ومع أن القائلين بالزيادة - وأكثرهم من علماء النحو ، وتابعهم بعض المفسرين - ، يرون أن القرآن نزل بلغة العرب ، والعرب يفعلون ذلك في لغتهم ، ويذكرون للحرف الزائد معنى مفيداً ، كالتقوية والتأكيد ، ولا قائل منهم بأن القرآن الكريم فيه حرف جيء به لغير فائدة ، والمانعون من القول بالزيادة يقولون : إن للتوكيد والتقوية فائدة لا يتم المعنى بدونها ،

1 - انظر : بلاغة القرآن في أدب الراعي : ص 217 .

2 - د. محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم : ص 130-131 .

إذن فليست زائدة . ونحن نقول بقول هؤلاء الاعلام ، ونتشبه بهم !!

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم --- إن التشبه بالكرام فلاح !!

آية الوضوء

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (المائدة : 6)

إعراب الآية :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) : يا : حرف نداء . و (أي) منادى مبني على الضم في محل نصب . و (ها) : حرف تنبيه .

الذين : اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع نعت ل (أي) .

آمنوا : فعل ماضي مبني على الضم ، وواو الجماعة : فاعل . والجملة : صلة الموصول لا محل لها من الإعراب .

و(إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان ، مبني على السكون ، متضمن معنى الشرط ، في محل نصب متعلق بمضمون الجواب (فاغسلوا) .

(قمتم) فعل ماض مبني على السكون ، و (تم) : ضمير متصل في محل رفع

فاعل ، والحملة في محل جر بإضافة (إذا) إليها . .

(إلى الصلاة) إلى : حرف جر مبني على السكون . و(الصلاة) اسم مجرور بـ

(إلى) وعلامة جره الكسرة ، والجار والمحرور متعلق بالفعل (قمتم) .

فاغسلوا : الفاء واقعة في جواب (إذا) للربط . (اغسلوا) فعل أمر مبني على حذف

النون.. وواو الجماعة : ضمير في محل رفع فاعل .والجملة لا محل لها من

الإعراب جواب شرط غير جازم . وجملة (إذا قمتم ...فاغسلوا) جواب النداء لا

محل لها من الإعراب . وجوهكم : (وجوه) مفعول به منصوب بالفتحة وهو مضاف

و(كُم) ضمير متصل في محل جر مضاف إليه (قرأها المزور : كم - بفتح

الكاف ؟) (وأيديكم) الواو : عاطفة ، وأيدي : اسم معطوف على (وجوه)

منصوب بالفتحة ، وهو مضاف ، و(كم) ضمير متصل في محل جر مضاف

إليه . (الى المرافق) إلى : حرف جر مبني على السكون . و(المرافق) : اسم

مجرور بـ إلى وعلامة جره الكسرة . والجار والمجرور : متعلق بمحذوف حال ،

أي : وأيديكم مضافة إلى المرافق .

(وامسحوا) الواو عاطفة ، و(امسحوا) : فعل أمر مبني على حذف النون ، وواو

الجماعة فاعل . والجملة معطوفة على (فاغسلوا) لا محل لها من الإعراب .

برؤوسكم : الباء : حرف جر . و(رؤوس) اسم مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة .

والجار والمجرور متعلق بـ (امسحوا) و(رؤوس) مضاف ، و(كم) ضمير

متصل مبني على السكون في محل جر مضاف إليه .

و(أرجلكم) الواو : عاطفة . وأرجل : اسم معطوف منصوب وعلامة نصبه الفتحة ،

أب : فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم . وهو معطوف على (وجوهكم ، و) أرجل (مضاف ، و) كم (صمير متصل في محل جر مضاف إليه .
(إلى الكعبين) إلى : حرف جر مبني على السكون . و (الكعبين) : اسم مجرور بـ (إلى) وعلامة جرة : الياء لأنه كمثى ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من أرجلكم .

معنى الآية :

ذكر القشيري وأبن عطية أن هذه الآية نزلت في قصة عائشة - رضي الله عنها - حين فقدت عقدها في غزوة المريسيع، وهي آية الوضوء .
والمراد بالقيام إلى الصلاة إرادة القيام إليها من إطلاق المسبب وإرادة السبب ، وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم إليها وإن لم يكن محدثا ، والإجماع على خلافه ، ولهذا قالوا : إن الخطاب للمحدثين للإجماع ، على أن الوجوب لم يكن إلا عليهم ، ولأن في الآية ما يدل عليه ، فإن التيمم بدل عن الوضوء ، وقائم مقامه ، وقد قيّد وجوب التيمم في الآية بوجود الحدث ، وهو يدل على أن الأصل مقيد بوجوب الحدث ليتأتى أن يكون البديل قائما مقام الأصل ، ولأن الأمر بالوضوء نظير الأمر بالاغتسال ، وهو مقيد بالحدث الأكبر في قوله تعالى : (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) فيكون نظيره ، وهو الأمر بالوضوء مقيدا بالحدث الأصغر .

وأما ما ورد من أنه - عليه الصلاة والسلام - وخلفاؤه كانوا يتوضؤون لكل صلاة فلم يكن ذلك بطريق الوجوب ، مع ما ورد من أنه - عليه الصلاة والسلام - يوم الفتح صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد ، فقال له عمر بن الخطاب - رضي

الله عنه - يا رسول الله صنعت شيئاً لم تكن تصنعه ، فقال - عليه الصلاة والسلام - : (عمدا صنعته يا عمر) (¹) يعني يريد بيان الجواز فيكون الوضوء على ظهر مندوبا فقط لا واجبا . وقوله : إِلَى الْمَرَفِقِ وَإِلَى الْكَعْبَيْنِ ،

فقال الجمهور : بوجوب غسل المرفقين والكعبين احتياطاً في العبادات ، وهو مذهب الحنفية والشافعية. وقال زفر من الحنفية : لا يجب غسلهما لأنّ (إلى) لانتهاء الغاية ، وما يجعل غاية للحكم يكون خارجاً عنه. **وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ** اتفق الفقهاء على أنّ مسح الرأس من فرائض الوضوء ، ولكنهم اختلفوا في مقدار المسح ، فقالت المالكية : يجب مسح الكل أخذاً بالاحتياط.

وقالت الشافعية : يكفي مسح أقل ما يطلق عليه اسم المسح أخذاً باليقين. وقالت الحنفية : يفترض مسح ربع الرأس أخذاً ببيان النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - كما روي عن المغيرة بن شعبة أنّ النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - كان في سفر ، فنزل لحاجته ، ثم جاء فتوضأ ومسح على ناصيته (¹).

ومنشأ الخلاف هنا اعتبار الباء في قوله : **بِرُءُوسِكُمْ** زائدة أو أصلية فقال المالكية والحنابلة ، إن الباء كما تكون أصلية تكون زائدة لتقوية تعلق العامل بالمعمول ، واعتبارها هنا زائدة أولى ، لأنّ التركيب حينئذ يدل على وجوب مسح كل الرأس ، والبعض داخل فيه ، فيكون ماسح الكل آتياً بالفرص بيقين ، فيجب مسح الكل احتياطاً. وقالت الحنفية والشافعية : إنّ هذه الأدوات التي منها الباء موضوعة

¹ - رواه مسلم في الصحيح 232 / 1

للدلالة على معان ، فمتى أمكن استعمالها دالة على هذه المعاني وجب استعمالها على هذا النحو. والباء موضوعة للتبويض ، ويمكن استعمالها هنا فيه ، فإننا نجد فرقا في المعنى بين وجودها في مثل هذا التركيب وعدم وجودها ، لأنك إذا قلت مسحت يدي بالحائط كان المفهوم مسح اليد ببعض الحائط لا بجميعه ، وإذا قلت مسحت الحائط بيدي كان المفهوم مسح جميع الحائط ، ومتى ظهر الفرق بين إدخال الباء وبين إسقاطها وجب أن يحمل قوله : **وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ** على بعض الرأس وفاء بحق الحرف. قال الشافعي - رضي الله عنه - : إنها تقيد التبويض ، وحجة الشافعي - رضي الله عنه - وجوه ، الأول : أن هذه الباء إما أن تكون لغواً أو كلاماً مفيداً ، والأول باطل ، لأن الحكم بأن كلام رب العالمين وأحكم الحاكمين لغو ، في غاية البعد ، وذلك لأن المقصود من الكلام إظهار الفائدة ، فحمله على اللغو خلاف الأصل ، فثبت أنه يفيد فائدة زائدة . (¹)

إلا أن الحنفية استندوا في تقدير البعض بثلاث أصابع على رأي ، وبربع الرأس على رأي آخر إلى ما رواه المغيرة بن شعبة كما تقدم.

وقوله : **وَأَرْجُلُكُمْ** بالنصب معطوف على الوجوه ، والأيدي أي : فاعسلوا وجوهكم ، وأيديكم ، وأرجلكم ، وذلك جائز في العربية بلا خلاف ، والسنة الدالة على وجوب غسل الرجلين تقوي ذلك . فيجب غسل الأرجل إلى الكعبين ، يؤيد ذلك عمل النبي - صلى الله عليه وسلم - وعمل أصحابه في حياته وبعد مماته ، فكان الحكم مجمعا

¹ - رواه مسلم في الصحيح 1/ 230

عليه.

وأما قراءة الجر فمحمولة على الجوار ، كما في قوله في سورة هود (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ) [هود : 26] بجر الميم لمجاورة يوم المجرور ، وفائدة الجر للجوار هنا في قوله : وَأَرْجُلَكُمْ التنبية على أنه ينبغي الاقتصاد في صب الماء على الأرجل ، وخص الأرجل بذلك لأنها مظنة الإسراف ، لما يعلق بها من الأدران. والكعبان تشية الكعب ، وهو العظم الناتئ بين الساق والقدم ، ولكل رجل كعبان يجب غسلهما. (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) أصل الفعل تطهَّروا ، أدغمت التاء في الطاء فسكنت ، فأتى بالهمزة ، أي فاغسلوا بالماء أبدانكم جميعها ، فإنَّ الأمر بالتطهير لما لم يتعلق بعضو دون عضو كان أمرا بتحصيل الطهارة في كل البدن ، يدل على ذلك أنَّ الوضوء لما تعلّق بعضو دون عضو نص الله تعالى في الأمر به على تلك الأعضاء التي أوجب غسلها ، وإنما حملت الطهارة بالماء لأنَّ الماء هو الأصل فيها ، كما يشير قوله تعالى : (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) [الأنفال : 11]. والجنابة معنى شرعي يستلزم اجتناب الصلاة ، وقراءة القرآن ، ومس المصحف ودخول المسجد ، إلى أن يغتسل الجنب. وقد بيّن النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - لحصول الجنابة سببين :

الأول : نزول المنى ،

¹ - الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، ج1: ص 88.

فإنه - عليه الصلاة والسلام - يقول في هذا الشأن (الماء من الماء) (¹)
أي يجب استعمال الماء للغسل من أجل الماء ، أي المني .

والثاني : التقاء الختانين ،

فإنه عليه الصلاة والسلام يقول : (إذا التقى الختانان وجب الغسل) (²)

وكما يجب الغسل للجنابة يجب عند انقطاع حيض ونفاس ، لقوله تعالى في الحيض :
(وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ) [البقرة : 222] ولحديث فاطمة بنت أبي حبيش أنه -
عليه الصلاة والسلام - قال لها : (إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة ، وإذا أدبرت
فاغتسلي وصلي) (³) وللإجماع على أن النفاس كالحيض .

واختلف الفقهاء في المضمضة والاستنشاق في الغسل ، فقال المالكية والشافعية :
لا يجبان فيه ، وقال الحنفية والحنابلة : يجبان .

حجة المالكية والشافعية : ما ورد من أن قوما كانوا يتحدثون في مجلس رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - في أمر الغسل وكلّ يبين ما يعمل ، فقال -عليه الصلاة
والسلام - : (أما أنا فأحشي على رأسي ثلاث حثيات ، فإذا أنا قد طهرت) (⁴)
وحجة الحنفية والحنابلة أن الأمر بالتطهير يعمّ جميع أجزاء البدن الظاهرة والباطنة ،
ولكن الباطنة التي لا يمكن غسلها سقطت للرج ، فبقيت الطهارة متعلقة بالظاهرة

¹ - رواه مسلم في الصحيح 1 / 269

² -- رواه أحمد في المسند 6 / 229 .

³ - رواه البخاري في الصحيح (1 / 91)

⁴ - رواه مسلم (بلفظ مختلف) في الصحيح (1 / 258) ،

والباطنة التي يمكن غسلها ، وهي الفم والأنف ، فكانت المضمضة والاستنشاق من الواجبات في الغسل ، وأيضا رأينا أنه تعلقت بهما أحكام تدلّ على اعتبارهما من الأعضاء الظاهرة ، وأحكام تدلّ على اعتبارهما من الأعضاء الباطنة ، فمن الأول ما قالوه من أنه إذا تمضمض الصائم أو استنشق لا يفسد صومه ، وهو دليل اعتبارهما من الظاهرة ، ومن الثاني ما قالوه من أنه إذا خرج القيء من الجوف إلى الفم ثم عاد ، لا يفسد صومه وهو دليل اعتبارهما من الباطنة ، وحيث اجتمع فيه شبه الأعضاء الظاهرة والباطنة كان الاحتياط في باب الطهارة في وجوب غسلهما. وأجيب عما تمسك به المالكية والشافعية بأن الغرض من الحديث بيان أنه لا يجب الوضوء بعد الغسل كما فهم ذلك كثير من الصحابة فبيّن - عليه الصلاة والسلام - أنّ الواجب الغسل فقط ، وأنّ الطهارة الصغرى تدخل في الطهارة الكبرى.

(وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ.) (المائدة : 6) بعد أن بيّن الله تعالى وجوب استعمال الماء في الوضوء والغسل عند إرادة الصلاة بيّن هنا أنّ وجوب استعمال الماء مقيدّ بأمرين : الأول : وجود الماء . والثاني : القدرة على استعماله من غير ضرر .

أما إذا انعدم الماء أو وجد ولكنّ مريد الصلاة مريض يضره الماء ، فالوجوب ينتقل من استعمال الماء إلى التيمم في حالتي الحدث الأصغر والأكبر . والتيمم ليس كما وصفه الحكواتي المخبول بأنه يتوضأ بالتراب، بل يعرفه كل مسلم ؟؟

القراءات في الآية : (وَأَرْجُلُكُمْ) :

1- قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو بكر عن عاصم ، وحمزة ، وأبو جعفر ،
 وخلف ، وأنس ، وعكرمة ، ويحيى بن وثاب ، والشعبي ، والباقر ، وقتادة ، وعلقمة
 ، والضحاك ، والأعمش .. (وأرجلکم) بالخفض .. وللعلماء في هذه القراءة
 تأويلات : منهم من أخذ بظاهرها فجعل حكم الرجلين المسح دون الغسل ، وروي
 هذا عن ابن عباس ، وأنس بن مالك ، وعكرمة ، والشعبي ، وقتادة .. ورويت عن
 أنس رواية أخرى : قال نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل ، وهذا أحسن تأويل لهذه
 القراءة ، وكأن السنة خصت أو قيدت ما كان عاما بالقرآن ، ففي الصحيح أن
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى قوماً يتوضؤون وأعقابهم تلوح ، فنادى
 بأعلى صوته «ويل للأعقاب من النار» مرتين . وقد أجمع الفقهاء بعد عصر
 التابعين على وجوب غسل الرجلين في الوضوء ولم يشذ عن ذلك إلا الإمامية من
 الشيعة ، قالوا : ليس في الرجلين إلا المسح ، وإلا ابن جرير الطبري : رأى التخيير
 بين الغسل والمسح ، وجعل القراءة بمنزلة روايتين في الإخبار إذا لم يمكن ترجيح
 إحداها ، على رأي من يرون التخيير في العمل إذا لم يعرف المرجح .
 قال الزجاج : قال بعضهم : نزل جبريل بالمسح ، والسنة في الغسل . (1)

وقال ابن قدامة : بعد أن ذكر روايات عن أن الرسول - صلى الله عليه وسلم -
 توضأ بالطائف ومسح على قدميه (2) قال هُشيم : كان هذا في أول الإسلام (1)

1 - د. عبد العال سالم مكرم : القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية ، ص 122.

2 - سنن أبو داود ، 1 / 36 .

2- وقرأ نافع ، والكسائي ، وابن عامر ، وحفص عن عاصم ، وابن مسعود ، ويعقوب ، والأعمش ، وأبو بكر ، وابن عباس ، والشافعي ، وعلي ، : (وأرجلكم) بالنصب عطفاً على { وأيديكم } وتكون جملة { وامسحوا برؤوسكم } معترضة بين المتعاطفين . وكأنّ فائدة الاعتراض الإشارة إلى ترتيب أعضاء الوضوء ، لأنّ الأصل في الترتيب الذكري أن يدلّ على التّرتيب الوجودي ، فالأرجل يجب أن تكون مغسولة؛ إذ حكمة الوضوء وهي النّقاء والوضاءة والتنظّف والتأهّب لمناجاة الله تعالى تقتضي أن يبالغ في غسل ما هو أشدّ تعرّضاً للوسخ؛ فإنّ الأرجل تلاقي غبار الطرقات وتُفرز الفضلات بكثرة حركة المشي ، ولذلك كان النّبي - صلى الله عليه وسلم - يأمر بمبالغة الغسل فيها ، وقد نادى بأعلى صوته للذي لم يُحسن غسل رجليه " وَيْلٌ للأعقاب من النّار " ، وهو رأي جمهور الفقهاء (من أهل السنة) .

3 - وقرأ الوليد بن مسلم ، عن نافع ، وعمرو عن الحسن ، وسليمان الأعمش ، (وأرجلكم) بالرفع ، وهو مبتدأ محذوف الخبر ، وتقديره : وأرجلكم واجب غسلها (²) . وقد وُسمت هذه القراءة بأنها شاذة ، وأعربت مبتدأ وخبرها محذوف تقديره عند المذاهب الأربعة : وأرجلكم مغسولة ، والزمخشري يقدر الوجهين : وأرجلكم

¹ - ابن قدامة : المغني ، ج1/ ص 185 ، وفي باب غسل الرجلين ولا يمسح على القدمين من كتاب الوضوء ، صحيح البخاري 1/ 35 ، 52.

² - انظر : - تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان : 1: 105 ر. و 2: 427. السبعة لابن مجاهد : 222-224 ، والنشر 3: 245. والطبري 6: 81 ، - 83. والكشف عن وجوه القراءات : 1: 406-407. ود. عبد اللطيف الخطيب : معجم القراءات : ج2 : ص 231-234.

مغسولة أو ممسوحة إلى الكعبين .. وهنا ذكر الألوسي أن قراءة الرفع لا تصلح في الاستدلال للفريقين ، إذ لكل فريق أن يقدر ما يشاء ، ومن هنا نأى كثير من المفسرين والمعرّبين عن الوقوف كثيرا عند هذه القراءة ، لشذوذها أولا ، ولعدم توافر الحجة اللغوية أو النحوية التي ترد تأويل المدرسة الأخرى .

والعرض له مستمر ؟!

أ. د. عبد الله المحمود